وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

جامعة الجيلالي بونعامة خميس مليانة

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية.

قسم: العلوم الإنسانية.

شعبة التاريخ

دور التعليمي للطريقة القادرية في الجزائر خلال العهد العثماني

مذكرة لنيل شهادة الماستر في التاريخ

تخصص: تاريخ الجزائر الحديث

إعداد الطالبتين:

- ✓ عبد السلام كريمة
- ✓ جمعي نشيدة

بإشراف:

د. صباح بعارسية

لجنة المناقشة:

1) الأستاذ:.....رئيسا.

2) الأستاذ:.....مشرفا و مقررا.

3) الأستاذ:.....مقررا.

تاريخ المناقشة:.....

السنة الجامعية :2019/2018

شكر وتقدير

الحمد لله الذي أنعم علينا بنعمة العلم ومن علينا بإتمام هذا العمل فلا يسعنا إلا أن نتقدم بعظيم الامتنان وعميق الشكر والعرفان وهذا لقول الحبيب المصطفى:" لا يشكر الله من لا يشكر الناس"

وكثيرا الذين هم يستحقون الشكر

فشكر كبير وتحية وتقدير

للأستاذة المشرفة " صباح بعارسية"

التي كانت لنا نعم الموجهة والمعينة طيلة مدة إشرافها علينا وكانت سند لنا في كل خطوة تقدمنا فيها بعلمنا إلى الأمام ولا يفوتنا إلا أن نشكر جميع أساتذتنا الكرام في مشوارنا الدراسي كما نتوجه كذلك بأسمى عبارات التقدير والاحترام والشكر الجزيل لأعضاء لجنة المناقشة

دون أن ننسى العاملين في المكتبة ميانة وكل الشكر والامتنان إلى كل من ساهم أو أرشد أو نصح

فجزاهم الله خيرا

وأخيرا فما هذا البحث إلا محاولة متواضعة منا، فإن كنا ثد وفقنا فيها بفضل الله ونعمته وإن أخفقنا حسبنا أن النقص من أعمال البشر وأن الكمال لله وحده.

وذلك فضل الله يتمه على من يشاء

وهو ذو الفضل العظيم

إهداء

بسم الله الرحمان الرحيم

الحمد الله الذي وفقني لهذا ولم أكن أصل إليه لولا فضل الله تعالى عليَّ هذا العمل ثمرة جهدي أهديها إلى من علمني أن الجد ليس له عمر وأن العطاء ليس له حدود أمي الغالية التي أنارت دربي بدعائها ورفع الله من شأنها وجعل الجنة تحت أقدامها، وإلى الشمعة التي احترقت لتنير لي طريق حياتي أبي الغالي أطال الله في عمره.

وإلى كل عائلتي المحترمة

وبالأخص زوجي المحترم " هشام نعلمان "

نشيدة

إهداء

بسم الله الرحمان الرحيم

الحمد الله الذي وفقني لهذا ولم أكن أصل إليه لولا فضل الله تعالى عليَّ هذا العمل ثمرة جهدي أهديها إلى من علمني أن الجد ليس له عمر وأن العطاء ليس له حدود أمي الغالية التي أنارت دربي بدعائها ورفع الله من شأنها وجعل الجنة تحت أقدامها، وإلى الشمعة التي احترقت لتنير لي طريق حياتي أبي الغالي أطال الله في عمره.

وإلى أخي محمد ولأختي زهرة وزوجها وإلى أبنائها عبد المنعم - رؤية - هنيدة - ورنيم

وإلى جميع الأصدقاء المقربين

كريمة

الفهرس

مقدمة	الرقم
الفصل الأول: التصوف في الجزائر	
المبحث الأول: علم التصوف	
المطلب الأول: تعريف التصوف	
المطلب الثاني: نشأة التصوف	
المطلب الثالث: أهم المدارس الصوفية	
المبحث الثاني: الطرق الصوفية	
المطلب الأول: تعريف الطرق الصوفية	
المطلب الثاني: نشأة الطرق الصوفية	
المطلب الثالث: أهم الطرق الصوفية	
الفصل الثاني: نبذة عن الطريقة القادرية	
المبحث الأول: القادرية قبل القرن السادس عشر	
المطلب الأول: القادرية قبل القرن السادس عشر	
المطلب الثاني: ظهور الطريقة القادرية في الجزائر أبي مدين شعيب	
المطلب الثالث: مساهمة عبد الرحمن الثعالبي في الطريقة القادرية	
المبحث الثاني: بعض مشايخ الطريقة القادرية في الجزائر	
المطلب الأول: عبد الكريم المغيلي ومساهمته في نشر الطريقة القادرية.	
المطلب الثاني: الشيخ مصطفى الغريسي وابنه محي الدين الغريسي.	
المطلب الثالث: علاقة الشيخ المختار الكنتي	
المبحث الثالث: علاقة الطريقة القادرية بالسلطة الحاكم	
المطلب الأول: علاقة الطريقة القادرية بالسلطة الحاكمة	
المطلب الثاني: علاقة بين الطريقة القادرية والشاذلية	

الفصل الثالث: الدور التعليمي للطريقة القادرية	
المبحث الأول: التعليم في الجزائر خلال العهد العثماني	
الطلب الأول: الكتاتيب	
المطلب الثاني: المساجد	
المطلب الثالث: المدراسة العلمية والمكتبات	
المطلب الرابع: مساوئ التعليم	
المبحث الثاني: منهج التعليمي للزاوي القادرية " زاوية القيطنة نموذجا"	
المطلب الأول: تعريف الزاوية	
المطلب الثاني: الأطوار التعليم	
المطلب الثالث: زاوية القيطنة القادرية	
المبحث الثالث: التربية الروحية داخل الزاوية	
المطلب الأول: التربية بالأذكار عند الطريقة القادرية	
المطلب الثاني: التربية السلوك بالصلوات الخمس	
المطلب الثالث: آداب المريد	
خاتمة عامة	
قائمة المصادر و المراجع	
الملاحق	

مقدمة

مقدمة:

يعتبر التصوف مظهر من المظاهر الدينية والفكرية التي ازدهرت في العالم الإسلامي حيث عرف امتداد مشرقيا اتجاه بلاد المغرب، وتطورا تنظيميا من المظهر النخبوي إلى الاتجاه الشعبي المؤسساتي بظهور الزوايا والطرق الصوفية.

ولقد انتشرت هذه الطرق وتشجعت منذ القرن الرابع عشر ميلادي في جميع أنحاء العالم الإسلامي، حتى وصلت إلى الجزائر فقد عرفت الجزائر عدة طرق صوفية قبل العهد العثماني ولكن زاد انتشارها خلال العهد العثماني نظرا لتشجيع هذه الأخيرة لهم لأنها أرادت أن تكسب الدعم من اجل ترسيخ دعائم حكمها في الجزائر ومن أشهر الطرق الصوفية في الجزائر هي الطريقة القادرية الشاذلية الرحمانية والدرقاوية والتجانية إضافة إلى طرق أخرى وجدت في العهد الاستعماري مثل السنوسية و العلاوية ولكل طريقة صوفية مؤسسها وشيخا تنتسب إليه.

فبعض المشايخ الصوفية أسسوا طرق خاصة بهم عرفتها المجتمعات الإسلامية عبر التاريخ إذ كان لها دور كبير منها الدور الديني والاجتماعي والتعليمي والجهادي ومن هذه الطرق الصوفية نجد الطريقة القادرية التي تعتبر من أوائل الطرق الصوفية في الجزائر وفي العالم الإسلامي أسسها الشيخ عبد القادر الجيلاني وقد وصلت إلى الجزائر عن طريق الحجاج والطلاب، وكان منهم أبو مدين شعيب الذي تأثر بهذه الطريقة وأحذرها إلى الشرق الجزائري، وبالضبط إلي بجاية وانتشرت حتى وصلت إلى الغرب الجزائري ،وإلي الجنوب عن طريق عبد الكريم المغيلي وإدركا منا بأهمية هاته الطريقة الصوفية ارتأينا إلى تناول جانبا منه تحت عنوان " الدور التعليمي للطريقة القادرية في الجزائر خلال العهد العثماني"

دوافع اختيار الموضوع: يمكن حصر أسباب اختيارنا للموضوع في:

الأسباب الذاتية: والتي تتمثل في معرفة الجزء الهام من تاريخ الجزائر الحديث بصفة عامة وجانب الثقافي بصفة خاصة واهم ذلك هو معرفة الدور التعليمي للطريقة القادرية.

أما الأسباب الموضوعية فتتمثل في إدراكنا لأهمية الدراسات ونقصها في الجانب التعليمي في الجزائر الحديثة.

أهمية الموضوع:تكمن القيمة العلمية لموضوع الدراسة كونه يعالج قضية مهمة، ألا وهي التعليم المرتبط بالطرق الصوفية،فقد كان التعليم من أهم المظاهر الثقافية في الجزائر خلال العهد العثماني وهي ظاهرة التي عرفت شيء من الفراغ والنقص وعدم التركيز عليها بشكل خاص إلا ما جاء في سياق العموم ،ذلك أن أغلب الدراسات اهتمت بالجانب السياسي والعسكري والاقتصادي .

وقد عالجنا هذا البحث انطلاقا من الإشكالية التالية:

إلى أي مدى ساهمت هذه الطريقة القادرية في النشاط التعليمي في الجزائر خلال العهد العثماني؟ وللإجابة على هذه الإشكالية نطرح إشكاليات ثانوية:

- من هو مؤسس الطريقة؟
- ومن هم أبرز الشخصيات هذه الطريقة في الجزائر؟
- كيف كانت العلاقة بين الطريقة القادرية والسلطة الحاكم؟
- وما هي المؤسسات التي كانت تضطلع بالتعليم عن الطريقة القادرية؟

إن هدفي من هذا الموضع هو الإسهام بجهد متواضع في المجال الذي يتعلق بجانب مهم من تاريخ الجزائر الحديث وهي الجانب التعليمي للطريقة القادرية في الجزائر خلال العهد العثماني وكذلك إبراز دور المؤسسات العلمية التي تعتبر مراكز لنشر التعليم وملتقي لنيل الأفكار.

خطة الدراسة: وللإجابة علي هذه الإشكالية قسمنا البحث إلى ثلاثة فصول:

تناولنا في الفصل الأول: علم التصوف وعالجنا فيه تاريخ التصوف ونشأته وأهم الطريق الصوفية في الجزائر.

أما الفصل الثاني: فقد تطرقنا فيه لنبذة عن الطريقة القادرية وعن مؤسسها وكيف ظهرت هذه الطريقة في الجزائر ومن هم أبرز الشخصيات هذه الطريقة كما تناولت علاقة بينها وبين السلطة الحاكمة .

وأشرنا في **الفصل الثالث** للدور التعليمي للطريقة من خلال المؤسسات التعليمية كالمساجد والكُتاب والزوايا وجعلنا زاوية القيطنة نموذجاً للتعليم في زوايا القادرية وكذلك ذكرنا التربية الروحية التي كانت سائدة داخل الزاوية.

وختمنا الدراسة بخاتمة احتوت علي استنتاجات.

ولإنجاز هذه الدراسة اعتمدنا علي جملة من المصادر والمراجع نذكر منهم: **المصادر**، التلمساني محمد بن مريم، البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، الثعالبي عبد الرحمان الجزائري، الإرشاد لما فيه من مصالح العباد،الجيلاني عبد القادر،سر الأسرار ومظهر الأنوار،تح ،الزرعي عدنان خالد محمد وعزقول نصوح محمد غسان،التدلي أبي يعقوب يوسف بن يحي، التشوف إلي رجال التصوف وأخبار أبي العباس، المزاري الآغا بن عودة،طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر وإسبانيا وفرنسا إلي أواخر القرن التاسع عشر ج1 ،**ومن المراجع:** سعد الله أبو قاسم،تاريخ الجزائر الثقافية،1500-1830، الجزء1، غرميني عبد السلام ،المدارس الصوفية المغربية والأندلسية في القرن السادس الهجري بوعزيز يحي ، موضوعات قضايا من تاريخ الجزائر والعرب، الجزء1، عبد الله بن دجين السهلي، الطرق الصوفية، نشائتها وعقائدها وآثارها العقبي صلاح مؤيد ،الطرق الصوفية والزوايا بالجزائر تاريخها ونشأتها الشهبي عبد العزيز ، الزوايا والصوفية والعزابة والاحتلال الفرنسي في الجزائر...الخ من المصادر والمراجع.

المنهج المتبع:

لدراسة الموضع دراسة علمية عالجنا ،كل الجوانب المتعلقة ،حيث تم توظيف المنهج التاريخ السردي الوصفي الذي يشرح أبرز الأحداث التاريخية، مع وصف المؤسسات التعليمية.

أما عن **الصعوبات** التي واجهتني، هو كأي بحث لا يخلو من الصعوبات متمثلة في:

- نقص المادة العلمية حول الموضع
- عدم تقديم يد المساعدة من طرف أصحاب الطريقة القادرية وإخفاء الكتب بحجة السرية وعدم البوح بالمعلومات عن هذه الطريقة.
- بعض منهم يملك الكتاب أضواء علي الطريقة القادرية لعبد الباقي مفتاح، وامتنع عن تصويره لنا ، أو حتى توجيهنا إلى مركز بيعه.
- إضافة إلى ندرة الدراسات في هذا الموضوع ، خاصة في الحقبة الزمنية المحددة للموضوع.

وفي الأخير أقدم الشكر لكل من ساعدني في مكتبة مليانة وعائليتي وأقدم جزيل الشكر للمشرفة التي كانت بجانبي في كل مرحلة من مراحل إعدادي لهذا العمل.

الفصل الأول:

التصوف في الجزائر

الفصل الأول: التصوف في الجزائر

شكل التصوف بوصفه ظاهرة إسلامية منطلقا مهما من منطلقات الإسلام،ومدرسة أنجبت منذ النشأة رجالا تركوا بصمات واضحة على التراث الديني، وبعدما انتشروا في مشارق الأمة ومغاربها، ليقوموا بدورهم في التبليغ الإسلامي وينبت على التقوى واستهدفت تنمية القيم الروحية وإن التصوف كحركة دينية أصبح مذهبا منظما، وصار للصوفية أساتذة وتلاميذ وقواعد السلوك ولكنهم بذلوا جهدهم في محاولة للتوفيق بين صوفيتهم وبين القرآن والسنة.

المبحث الأول: علم التصوف

المطلب الأول: التصوف لغة

إن التصوف مأخوذ من الصفاء والصفاء هو: خلوص الباطن من الشهوات والأوساخ[1]

و لفظة التصوف مقسمة إلى أربعة أحرف التاء والصاد والواو والفاء ،لكل حرف معني:

التاء: من التوبة وهي على وجهين، توبة الظاهر وتوبة الباطن ،فالتوبة الباطن هي توبة القلب وتبديل الصفة الذميمة بالصفة الحميدة ،أما توبة الظاهر فهي أن يُرجع جميع أعضائه الظاهرة عن الذنوب، إلى الطاعات.

الصاد: من الصفاء وهي نوعين صفاء القلب وصفاء السر فصفاء القلب هو تخلصه من الرذائل وتحصل هذه التصفية إلا بملازمة ذكر الله لقوله تعالى :"إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم.." سورة الأنفال (الآية2) وصفاء السر هي ملازمة التوحيد.

[1] عبده غالب أحمد عيسى ، مفهوم التصوف دار الجبل، بيروت لبنان، 1992م، ص11

الواو: هي الولاية، تترتب على التصفية كما قال الله تعالى:" ألا أن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون.." سورة يونس (الآية 10) ونتيجة الولاية أن يتخلق المتصوفة بأخلاق الله تعالى لقوله صلى الله عليه وسلم " تخلقوا بأخلاق الله" أي اتصفوا بصفاته.

الفاء: يعني عن غير الله تعالى: إذا فنيت الصفات البشرية بقيت الصفات الأحادية وهي لا تفني ولا تزول[1].

وورد تعريف التصوف كذلك من الصوف لأن كان لباس القوم كان من الصوف تقللا من الدنيا وزاهدا فيها واختاروا ذلك لأنه لباس الأنبياء وهذا الاشتقاق أنسب لأن الصوف حكم ظاهر على الظاهر، لأن الحكم بالظاهر أوفق وأقرب[2].

- إضافة إلى عدة تعاريف أخرى لشرح التصوف لغة، فيقول البعض:" إن التصوف من الصوفية، لأن الصوفي مع الله تعالى، الصوفية مطروحة لاستسلامهم لله تعالى ومنهم من قال:" أن التصوف من الصفة، لأن صاحبه تابع لأهلها فيما أثبت الله لهم من الصوف، لقوله تعالى:" وأصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم" سورة الكهف (الآية 28) وأهل الصفة هم أوائل من رجال التصوف فقد كانت حياتهم التعبئة الخالصة للمثل الأعلى الذي استهدفه رجال التصوف في العصور الإسلامية، وقيل أيضا (من الصف) فكأنهم في الصف الأول وقلوبهم من حيث حضورهم مع الله تعالى، وتسابقهم في سائر الطاعات[3].

---

[1] عبد القادر الجيلاني،سر الأسرار و مظهر الأنوار،تح:خالد محمد عدنان الزرعي و محمد غسان نصوح، عزقول،ط3،دار السنابل،سورية-دمشق،1994م،صص77،79.

[2] يوسف السيد هاشم الرفاعي، الصوفية والتصوف في ضوء الكتاب والسنة، يتضمن آراء العلماء المتقدمين والمعاصرين عن التصوف ونشأته ورجاله ومعتقداته د،د،ن الكويت، 1999م، ص 19.

[3] عبد القادر عيسى، حقائق عن التصوف، موقع الطريقة الشاذلية الدرقاوية، https://www.sharly.com، تم الإطلاع عليها في 8ماي 2019، ص،9.

تعريف التصوف اصطلاحا: هو حركة دينية انتشرت في العالم الإسلامي في القرن الثالث هجري/التاسع ميلادي، كانت تدعو إلى الزهد ،وإلى كثرة العبادة .وجاء التصوف كتيار معاكس ضد الذين انغمسوا في الدنيا والترف الحضاري ويقوم المتصوف الحضاري ويقوم المتصوف بتربية النفس والسمو بها وذلك بغية الوصول إلى الله تعالى[1].

ويعد التصوف من أهم المظاهر التي اصطحبت الحياة الروحية الإسلامية، حيث يخضع فيها الصوفي نفسه لقواعد وضوابط سلوكية، مبادئ في الأخلاق، والتصوف بهذا المعنى قوامه فلسفة روحية تقوم على الذكر والاعتكاف وانتصار للروح على البدن[2].

وتعريف التصوف من ناحية الاصطلاحية يزيد عن ألف قول حيث يعرفه البعض:" التصوف علم تعرف به أحوال تزكية النفوس وتصفية الأخلاق وتعمير الظاهر والباطن لنيل السعادة الأبدية" وقيل أيضا:" التصوف علم قصد لإصلاح القلوب وإفرادها الله تعالى عما سواه، والفقه لإصلاح العمل، وحفظ النظام وظهور الحكمة بالأحكام والأصول علم التوحيد" لتحقيق مقدمات البراهين، وتحلية الإيمان بالإتقان، كالطب لحفظ الأبدان، وكالنحو لإصلاح اللسان إلى غير ذلك".

قيل أيضا :" التصوف استعمال كل خلق سني، وترك كل خلق دني" وقال بعضهم:" التصوف كله أخلاق، فمن زاد عليك بالأخلاق زاد عليك بالتصوف."[3]

---

[1] ممدوح العربي، الصوفية وطرقها، شبكة مسلمات www. mslimat.net تم الإطلاع عليها في 13 أفريل 2019،ص3.

[2] بن يوسف تلمساني، الطريقة التجانية موقعها من الحكم المركزي بالجزائر للحكم العثماني، الأمير عبد القادر الإدارة الاستعمارية 1782- 1900 رسالة لنيل شهادة الماجستير في تاريخ الحديث والمعاصر، تحت إشراف، ناصر الدين سعيدوني، جامعة الجزائر، 1998/1997، ص 14.

[3] عبد القادر عيسى، حقائق من التصوف، المرجع السابق، ص 8.

وقيل عنه أيضا: الصوفي من يرى دمه هدرا وملكه مباحا" و"التصوف أن تكون مع الله تعالى بلا علاقة" وقيل عنها أيضا:" هم أهل بيت واحد لا يدخل فيهم غيره وقال عنه أيضا:" التصوف هو الخالق من زاد عليك بالخلق زاد عليك بالتصوف."

وقيل أيضا" التصوف ذكر مع اجتماع، ووجد مع استماع وعمل مع إتباع"

" التصوف هو العصمة عن رؤية الكون."

" التصوف سر لأنه صيانة القلب عن الغير ولا غير"

وهذه الأقوال عن التصوف تحتوي على جملة من الأسس العقيدية[1]

بني علم التصوف علي أسسه وهي:

الأساس الأول:معرفة عقائد الإيمان، يجب على مسلم أن يعرف العقائد الإيمانية مستوحاة من كتاب الله الكريم ومن سنة نبيه.

الأساس الثاني: معرفة الأحكام الفقهية، فعلى المسلم التعلم العلم الذي تمتع به عبادته من صلاة وزكاة وصيام وحج.

الأساس الثالث:العمل بمقتضى العلم، أي العمل من امتثال للمأمورات واجتناب للمنهيات.

الأساس الرابع:الإخلاص في العمل، ويقصد بذلك أن المسلم يكون مراقبا لربه مراقبة دقيقة –لا تكون هذه المراقبة مراقبة بالرؤية بل تتم بالقلب – فلا يقدم على عمل من الأعمال الصالحة إلا وهو يريد به ابتغاء مرضاة الله[2]

[1] محمد أحمد لوج، تقديس الأشخاص في الفكر الصوفي، ج1، دار بن عفان، للنشر والتوزيع ، القاهرة، 2002، ص، ص42–43.

[2]عبد الغالب أحمد عيسى، مفهوم التصوف، المرجع السابق، صص 14..21.

المطلب الثاني: نشأة التصوف

بدأ التصوف على شكل زهد وورع، تمثل في أفراد معينين فإنه لم يلبث أن صار مذهبا قائما على أركان مدعمة بنصوص من القرآن الكريم والحديث يسمى:" علم الباطن" وقد تجسد في عدة أشخاص مثل أبي الفيض ثوبان بن إبراهيم مشهور بذي النون المصري (ت 365هـ/ 958م) ورابعة العدوية (185هـ /801م)[1].

وهي تخطو بالزهد القائم على الخوف والحزن إلى نوع آخر قوامه المحبة الله لذاته، والشوق إليه، وتجدها ترتكز على حب الإلهي المنزه عن الغرض وأصبح التصوف منذ الرابعة العدوية مذهبا قائما على أسس ودعائم مختلفة وبعد هذا المنحنى استطاع أبو حامد الغزالي[2]إخراجه من هامشه الاجتماعي الضيق ولهذا اشتهر أبوة حامد الغزالي بأنه مجدد للعلوم الدين من خلال كتابه " أحياء علوم الدين" الذي تمكن من خلاله إرجاع التصوف إلى وعائه الإسلام بعدما اصطبغ عليه نوع من الخرافة و ابتعاد عن الكتاب والسنة،[3] وقد مرت نشأة التصوف عبر مراحل مختلفة وهي:

مرحلة الزهد الخالص والبعد عن الملذات والترفع عنها: هي مرحلة ظهور التصوف حيث يكون زاهدا في الدنيا والبعد عن متعها واختيار الحياة الأخرى وما فيها من نعيم.

---

[1] التدليلي العجيلي، الطرق الصوفية والاستعمار الفرنسي في بلاد تونس (1881- 1939) مج3، منشورات كلية الآداب بمنوبة، جامعة تونس، 1992، ص 28.

[2] أبو حامد الغزالي، ولد أبي حمد الغزالي في قرية طوس" من خراسان سنة 450هـ- 1059م، لقد اثري الفيلسوف أبو حامد الغزالي المكتبة العربية والغربية عن طريق ترجمة فكرة بجملة من المؤلفات منها إحياء علوم الدين، توفي سنة 505هـ- 1111م، انظر أبو حامد الغزالي، مشكاة الأنوار صفات الأسرار، تح:عبد العزيز عز الدين، السيروان، د،د،ن، بيروت، 1989م، ص 18.

[3] بن يوسف تلمساني، الطريقة التجانية...،المرجع السابق، ص، 22.

مرحلة إتباع الزهاد والمتشابهين السابقين أو مرحلة الزهاد الوعاظ: أي عرف هؤلاء بالأعمال الصالحة وشدة الخوف من الحق سبحانه وتعالى وإبتعاد عن ملذات الحياة، ونصحوا ووجهوا غيرهم إلى الالتزام بآداب والأخلاق،

مرحلة إتباع الزهاد في الزهد والتقشف:بدأت في القرن الثالث هجري حيث يتبعونهم في الاعتكاف عن الدنيا وابتعاد عن ملذات

مرحلة الكلام والتحرر:نبدأ هذه المرحلة في القرن الرابع هجري، التي تتمثل في التحرر من خلال تخلص الروح من الجسد وأن كل حجب أخرى من الشعائر تقف حاجزا بينها وبين حقيقتها المطلقة[1]

وبعد هذا الانتشار الواسع الذي عرفه التصوف في المشرق الإسلامي حتى وصل تأثيره إلى المغرب العربي، عن طريق الاحتكاك القائم بين المشرق والمغرب بفضل الحجيج وطلاب العلم، فبدأ على شكل زهد[2]، ثم تحول وتطور إلى تصوف نظري فلسفي ثم اتجه إلى ناحية العلمية، وقد وجد التصوف لأول مرة في بلاد القبائل وخاصة بجاية التي كانت تعتبر أكبر مركز إشعاع الطرق الصوفية لعدة قرون من الزمن، ويعتبر أبو مدين شعيب هو أول من أدخل التصوف إلى هذه المنطقة ونال شهرة واسعة من خلال تلامذته نذكر منهم عبد السلام ابن مشيش[3].

[1] عبد الله زروقي، الطرق الصوفية ومنطلقات الفكرية والأدبية بمنطقة توات دراسة تاريخية وأدبية نماذج شعرية من ديوان سيدي عبد الكريم بن محمد البلباني،1288ه/1860م، أطروحة لنيل دكتوراه العلوم في الآدب العربي، إشراف محمد بن منوفي، 2016-2017، صص 42..45.

[2] بن يوسف تلمساني، الطريقة التيجانية...المرجع السابق، ص 28.

[3] عبد السلام ابن مشيش، ولد عام 559ه/ 1198 من أحد رواد التيار الصوفي ، تعلم الكتاب والسنة وحفظه، تتلمذ على يد أبو مدين شعيب، أخذ عنه التعاليم الصوفية، توفي عام (613ه- 1217م) انظر: عبد الله الرقاني، النسمة الزكية لمشايخ الطريقة الرقانية، دار الغرب للنشر والتوزيع، د،د،ن،د،ت ص 50.

وقد شاع التصوف في الجزائر بفضل المدرسة الثعالبية التي ساهمت في نشره في كل الجزائر وبهذا أخذ التصوف ينتشر من الشرق إلى غرب الجزائر وقد لقي هذا التيار الدخيل على الجزائر دعم من طرف الدويلات الثلاث(الحفصية، الزيانية، المرينية) لما وجد فيه من تقوية للجانب التعليمي[1] " وزاد انتشار التصوف في الجزائر بعد دخول العثمانيين للجزائر، لأنهم زادوا في تغذيته، كونهم من مشجعين للحركة الصوفية، وذلك في القرن (10هـ، 16م) .

ومن جهة أخرى فإن التيار الصوفي قد انتشر في المدن قبل الأرياف، ذلك أن معظم المتصوفين قد ظهروا في المدن الكبيرة، غير أن هذه الظاهرة لم تظل كذلك، فمع ضعف الإدارة المركزية وكثرة الفساد انتشرت حركة التصوف إلى داخل البلاد وأسسوا أولائك الصوفيين زواياهم في الأرياف وأصبحت هي نفسها ملتقى لنشر العلم وأصبحت تقوم بمهام من اختصاص الحكام، العثمانيين في الجزائر[2] وبعد أن أصبح هذا التيار مجال مفتوح أمام عامة ناس، إلتبسه نوعا من الدروشة والجهل والاستغلال والابتعاد عن العلم[3].

المطلب الثالث: أهم المدارس الصوفية

انتظمت هذه التيارات الصوفية على شكل مدارس الصوفية في القرنين (6-7هـ/13-14م).

[1] طيب جاب الله:" دور الطرق الصوفية والزوايا في المجتمع الجزائري" معارف مجلة علمية محكمة ،العدد 14، جامعة البويرة، السنة الثامنة أكتوبر 2013م، ص 136.

[2] أبو قاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي 1500-1830 ج1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998، ص 463.

[3] صباح بعارسية،موقف الحكام والعلماء من المتصوفة في الجزائر في العهد العثماني، رسالة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه،في التاريخ الحديث والمعاصر، إشراف ،عمار بن خروف، جامعة الجزائر، 2014-2015، ص 63.

المدرسة المجاهدات العلمية: انبثقت هذه المدرسة من حصيلة العمل التعبدي والزهد الذي كان يمارسه الزهاد، في المساجد وأماكن الخلاء والمغارات ويتميز أصحاب هذه المدرسة بالالتزام بالقرآن الكريم والسنة وأخلاق السلف الصالح والجنوح إلى أسلوب القيام والصيام ومن أعمدة هذه المدرسة أبو محمد عبد الحق الأشبيلي (581هـ/ 1986م) ببجاية[1].

المدرسة الغزالية:هذه المدرسة تأتي في المرتبة الثانية ويمثلون في المغرب الذين تبنو أطروحة الغزالي الجامعة بين الحقيقة والشريعة، ويعود الفضل في ظهور أفكار هذه المدرسة إلى حضور كتاب إحياء علوم الدين في كل من بجاية وتلمسان أوائل القرن السادس عشر هجري/ الثاني عشر ميلادي[2]، واتبعوا الغزالي نظرا لوضوح أسلوبه وسهولته وقدرته على تبسيط المعقد وتقريب البعيد بالشرح وضرب المثل ويرجع ذلك إلى قدرته على هضم المعارف السابقة[3]، وقد ظل هؤلاء الصوفيون يطبقون في صرامة أطروحة الغزالي وفق الخطوات المعروضة في كتاب الإحياء–وهي مرحلة التي يمكن نعتها بمرحلة تقليد الإحياء[4].

والتي تنتهي مع ظهور الجيل الثاني من الغزالين الذين تحكموا في محتوى الإحياء، واستوعبوا نظرية الغزالي وكيفوها وفق طبيعة الحياة الدينية والثقافية والفكرية.

ومن أهم المدارس الأخرى نذكر:

[1] الطاهر بوناني، الحركة الصوفية في المغرب الأوسط خلال القرنين الثامن والتاسع الهجري 14–15 الميلادي، أطروحة لنيل شهادة دكتوراه العلوم في التاريخ الإسلامي الوسيط، إشراف عبد العزيز فيلالي، جامعة الجزائر، 2008، 2009، ص73.

[2] المرجع نفسه، ص 79.

[3] عبد السلام غرميني، المدارس الصوفية والأندلسية في القرن السادس الهجري، دار الإرشاد الحديثة، الدار البيضاء، المغرب، 2000، ص 404.

[4] الطاهر بوناني، الحركة الصوفية...المرجع السابق، ص 81.

مدرسة قسنطينة:بزعامة الشيخ أبي الحسن علي ابن باديس خلال القرنين (787هـ-701هـ/ 1301م-1384م)صاحب منظومة السينية التي تعرف كذلك بالنفحات القدسية، التي نظمها فيمدح الشيخ عبد القادر الجيلاني مطلعها:

ألا من إلى بغداد فهي مني النفس وحدث بها عمن ثوى باطن الرمس

مدرسة الثعالبي:بزعامة الشيخ عبد الرحمن الثعالبي (875هـ/786)(1384م- 1470م) الذي له عدة منظومات صوفية وتفسير القرآن الكريم.

مدرسة تلمسان: بزعامة الشيخ بن يوسف ابن شعيب السنوسي المتوفي عام 695هـ-1490م، وهو صاحب المقدمات الكبرى والوسطى والصغرى في التوحيد.

ومدرسة وهران: بزعامة الشيخ محمد بن عمر الهواري، متوفي عام 843هـ- 1439م.

مدرسة مازونة بزعامة الشيخ محمد بن علي إيهلول المجاجي المتوفي عام 1002هـ/ 1593م[1]، وهذه المدارس عرفت تطورا كبيرا في العهد العثماني وأصبحت قبلة لطالبي العلم، وقد ساهمت في تعليم ونشر أفكار رجال التصوف، وبذلك نشر مذهبهم وطرقهم بين الناس، خاصة في المرحلة الأولى من ظهور التصوف وبانتشار هذه المدارس في الجزائر أخذ التصوف في التوسع والانتشار في الوسط الاجتماعي الجزائري وانتقل من تصوف النخبوي - كان في بداية حكر أعلى طبقة معينة، من المتعلمين- إلى التصوف الشعبي.انتشاره بين العامة الناس- وهذا ما يحل ندرة الأمية بين السكان[2]

[1] يحي بوعزيز موضوعات وقضايا من تاريخ الجزائر والعرب، ج1، دار الهدى عين مليلة، الجزائر، 2009، ص 232-233.

[2]رشيد بكاي، سلطة الخطاب الصوفي في الجزائر، دار التنظيمات الصوفية، (الطرقية) خلال الفترة الاستعمارية الفرنسية للجزائر من المقومات الشعبية المسلحة إلى مقاومة السياسية والثقافية" دراسة تحليلية نقدية (1832-1954) أطروحة لنيل

المبحث الثاني: الطرق الصوفية

المطلب الأول: تعريف الطرق الصوفية

1- الطريق والطريقة لغة

الطريق هو السبيل يذكر ويؤنث فيقال الطريق الأعظم والطريق العظمى، وهو طريق يسلكه الإنسان بالفعل سواء كان محمود أو مذموم، وجمع الطريق هو (الطرق) وهو جمع شائع في الاستعمال، ويقال أيضا (الطرقات)،والطريقة: هي الحال مثلا: نقول فلان على طريقة الحسنة وعلى طريقة السيئة وهي أيضا السيرة والمذهب، وجمعها طرائق،وفي اللغة لا يوجد فرق بين الطريق والطريقة.[1]

الطريقة اصطلاحا:

جاءت لفظة " الطريقة" و"الطريق" الطرائق" في مواضع من القرآن الكريم ومنها قوله تعالى:"

- "إن الذين كفروا وظلموا لم يكن الله ليغفر لهم ولا يهديهم طريقا"[2]
- " نحن نعلم بما يقولون إذ يقولوا أمثلهم طريقة إن لبثتم إلا يوما"[3]
- " وأن منا الصالحون ومنادون ذلك كنا طرائق قددا"[4]

= شهادة الدكتوراه،في علم الاجتماع، تخصص علم الاجتماع الديني،إشراف عبد القادر بوعرفة، جامعة وهران، 2012، 2013، ص 192.

[1] عبد الحكيم مرتاض، الطرق الصوفية بالجزائر في العهد العثماني وتأثيراتها الثقافية (924-1246هـ) (1518-1830م) أطروحة لنيل شهادة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، إشراف:عبد الحميد حاجيات ،جامعة احمد بن بلة، وهران، 2015-2016، ص 18

[2] سورة النساء، الآية 168.

[3] سورة طه الآية 104.

[4] سورة الجن، الآية 11.

والطريقة هي عبارة عن مراسم الله تعالى وأحكامه التكلفية، التي لا رخصة فيها وهي المختصة بالسالكين إلى الله تعالى[1] ومعنى الطريقة في القرنين الثالث والرابع الهجريين هو شيخ له طريقة معينة ويلتف حوله المريدون، وفي القرن الثالث حصل شيء من التميز والصوفية عن جمهور المسالمين، وهذا من سمات التصوف في ذلك القرن إلا أن هذا المعنى اختلف عبر القرون لتطور تطبيق الصوفية له، فقد أصبحت الطريقة بعد القرن السادس وما بعده لها أوراد وزى خاص وأضرحة[2]،

وإن الصوفية تطلق اسم الطريقة هي مجموعات القواعد والرسوم التي فرضها الشيوخ على مريديهم ولهذا لم يكن للطريقة صفات ثابتة محدودة، فإن تعاليم كل طريقة ترجع إلى شيخها الخاص يدل على ذلك على ما في الطرق الصوفية في تباين وخلاف.[3]

وللطريقة وصف آخر وهي اتصال المريد بالشيخ وارتباطه به حيا وميتا، وذلك بواسطة ورد من الأذكار يقوم به المريد بإذن من الشيخ أول النهار وآخره، ويلتزم به بموجب عقد بينه وبين الشيخ، وهذا العقد يعرف بالعهد وصورته: أن يتعهد الطرف الأول وهو الشيخ، بأن يخلص المريد من كل شدة ويخرجه من كل محنة متى ناداهمستغيثا به، كما يشفع له يوم القيامة في دخول الجنة، ويتعهد الطرف الثاني وهو المريد[4] بأن يلتزم بالورد وآدابه فلا يتركه

[1] عبد الله زروقي، الطرق الصوفية...،المرجع السابق، ص 39.

[2] عبد الله بن دجين السهيلي، الطرق الصوفية، نشأتها وعقائدها وآثارها، دار كنوز اشبيليا، الرياض 2005، ص ص10،11،

[3] محمد احمد لوج، تقديس الأشخاص...المرجع السابق، ص 343.

[4] المريد: هو الفرد المنتسب والمجتهد في تعلم الطريقة التي تنير دربه، من خلال مجالسة ومصاحبة الشيخ فهو الشخص الذي يسخر نفسه لخدمة الخاصة للشيخ ولا يحق له أخفاء حالته الإيمانية على شيخه، أنظر عبد الله حمودي، الشيخ والمريد، النسق الثقافي لسلطة في المجتمعات العربية الحديثة، تر: عبد المجيد جحفة، دار توبقال لنشر، دار البيضاء، مغرب، 2000، ص 115.

مدى الحياة كما يلتزم بلزوم الطريقة وعدم استبدالها بغيرها من سائر الطرق هذه الطريقة عند المتصوفة[1].

فالطريقة هي نهج في التربية وهي تنسب الخانة وهي الزاوية التي يجتمع فيها الفقراء للذكر وقراءة القرآن وإنشاد المدائح ومراتب الطريق هي أربع:

1. مرتبة التوبة
2. مرتبة الاستقامة
3. مرتبة التقريب
4. مرتبة التهذيب: يقصد به الصمت وهو "سحب الهوى" الجوع" سحب الشيطان" العزلة " سحب الدنيا"[2]

المطلب الثاني: نشأة وتطور الطرق الصوفية

إن تاريخ ظهور الطرق الصوفية يعود إلى القرن (03هـ/9م) ويعود انتشاره إلى القرن(08هـ/14م) وقد فاق عددها الثمانين طريقة[3]وترجع نشأتها إلى عوامل كثيرة ومتنوعة ونذكر منها:كثرة البدع وانتشارها، والجدال والخصوم في الدين، مجادلة أهل البدع ومخالطتهم، والجهل، ويشمل الجهل بمذهب السلف والجهل باللغة العربية إضافة إلى أسباب أخرى من أهمها:

- أخذ الدين من غير الكتاب والسنة وأثر السلف: من خلال إتباع والاعتماد وتلقي عن أهل الكتاب وغيرهم والاعتماد الرؤى والأحلام والمنامات والاعتماد علي الأحاديث الضعيفة

[1] محمد احمد لوج، مرجع سابق، ص 344.

[2] محمد بن بريكة، أبو زيد الحسني، التصوف الإسلامي من الرمز إلى العرفان، دار المتون، الجزائر، 2006، ص 295.

[3] صلاح مؤيد العقبي ،الطرق الصوفية والزوايا بالجزائر تاريخها ونشاطها، دار البراق ، لبنان 2002، ص 131.

- الموضوعة: حرص أهل الصوفية بالرجوع إلى السنة النبوية والاستناد إليها ولجهل بعض الطوائف وعدم تمييزهم بين الضعيف والصحيح.

-الخوارق ظنوها آيات وهي أحوال الشياطين وهذا مما ضل به كثيرا من ظلال الناس مثل سماع أخبار منقولة ظنوها صدقا وهي كذب[1].

-حب الشهرة والجاه، وإتباع الهوى والطمع المادي في الثراء والعيش الرغيد: فمشايخ الطرق تصرف لهم رواتب من عدة دول متعاقبة منذ أيام الدولة العثمانية وتبقى هذه المخصصات للورثة بعد وفاة شيخ الطريقة....[2]

تنقسم الطرق الصوفية في الجزائر إلى نوعين :

الفرع الأول:" خلواتي" يدعي شيوخها المعرفة بالأسرار دينية عينية خاصة، والقدرة تلقينها لأتباعهم الذين يدعون بالمريدين أو الإخوان أو الفقراء، حسب اختلاف الطرق والجهات والمناطق فيرفضون عليهم أذكار خاصة يتلونها في خلوات

معزولة ومظلمة لمدة معينة حتى يفتح الله عليهم، ومن ضمنها الاسم الأعظم " الله" ثم يخرجون ليصبحوا مربين حقيقيين، ثم يرفضون عليهم أذكارها من تدعى " ورد" يتلونها يوميا، صورة فردية أو جماعية وهذه الظاهرة الخلوة هي التي استوجبت تسمية الشيوخ هذه الطرق الخلوتية بالطريقين لأن كل واحد منهم له طريقة خاصة .

أما النوع الثاني: " غير خلواتي" ولا يدعي شيوخها معرفة أسرار دينية معينة، ولكن يتخذون لأنفسهم وأتباعهموردا معينا من الأذكار والصلوات يتلونها وراء الصلوات ويتصدون لتحفيظ

[1] عبد الله بن دجين السهلي، الطرق الصوفية...،المرجع السابق، ص 15.

[2] المرجع السابق، ص،ص 17،18.

القرآن الكريم للأطفال الصغار، وتعليم بعض العلوم الدينية واللغوية إيمانا بأنفسهم، أو بواسطة حفاظ القرآن الكريم[1].

المطلب الثالث: أهم الطرق الصوفية في الجزائر

نشأت في الجزائر عدة طرق صوفية وكانت أول الطرق الصوفية هي:

1-الطريقة القادرية:

هي أقدم الطرق الصوفية القادمة من المشرق نحو المغرب الإسلامي منسوبة للشيخ عبد القادر الجيلاني دفين بغداد، المتوفي سنة (561هـ- 1160م)[2] ومن أشهر أقواله علي الطريقة قال:" يجب على المبتدئ في هذه الطريقة الاعتقاد الصحيح الذي هو الأساس فيكون عقيدة السلف الصالح" والميزة العظمى للشيخ هي الرد على أهل البدع[3]

2-الطريقة الشاذلية: (656هـ/ 1258م)

مؤسس الطريقة هو الشيخ أبو الحسن على ابن عبد الله ابن عبد الجبار الشاذلي، المولود في المغرب الأقصى، غادر أبو الحسن إلى تونس من أجل التعلم ،وهي من أقدم الطرق الصوفية، لقيت هذه الطريقة انتشارا واسعا في الجزائر، ورسم الشيخ الطريقة الشاذلية نهج خاص به وقال:" ليس هذا الطريق بالرهبانية ولا يأكل الشعير والنخالة ولا ببقبقة الصناعة وإنما هو بالصبر عن الأوامر واليقين في البداية" ولم يكن أبو الحسن متشدد ولا متزمتا في لباسه أو مشربه عكس الطرق الأخرى[4]

[1] يحي بوعزيز، الدور الديني والسياسي للطرق الصوفية، معهد التاريخ وهران، الجزائر، د. ت، ص، 201.

[2] أنظر الفصل الثاني ، نبذة عن الطريقة القادرية، المبحث الأول، طريقة القادرية

[3] عبد الله بن دجين، الطرق الصوفية...، المرجع السابق، ص 83

[4] صلاح مؤيد العقبي، الطرق الصوفية و الزوايا...المرجع السابق، ص ،ص149،150

3-الطريقة الدرقاوية:

ظهرت الطريقة الدرقاوية في المغرب الأقصى ويعود أصلها إلى الشاذلية وهي تنتسب إلى الشيخ محمد العربي الدرقاوي المتوفي سنة (1239هـ- 1823م)[1]، وانتشرت هذه الطريقة في الغرب الجزائري وفي الوقت الذي تفاقم فيه الضعف السياسي للحكم العثماني في الجزائر كان لأتباعها سبح وخرق وأوراد وحلقات ذكر، وطرق الاجتماع وحاولوا أن يعلموا الناس طرق العودة للإسلام الصحيح من خلال التقشف ومنع اللباس الفاخر[2]

4-الطريقة التيجانية:

أسسه الشيخ احمد التيجاني المولود بعين ماضي عام (1150هـ/ 1737م) ودفن في فاس عام (1230هـ- 1817م) تلقى علومه على يد الفقيه بن أبي عافية المضاوي متوفي بمرض الطاعون عام (1166هـ- 1757م)، فبعد موت شيخه هاجر إلى فاس وبعد عودته إلى الجزائر أسس زاويته بعين الماضي وانتشرت أيضا في شرق البلاد وفي وسطها وفي هذه الطريقة تعتمد على بعض الأوراد نذكر منها ما يلي:

" استغفر الله مائة مرة" " الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم بأي صيغة كانت(مائة مرة)" وغيرها من الأوراد.

وكذلك لعبت دورا أخر من الناحية الجهادية، وهذه الطريقة تقوم على العمل والموازاة بين الحياة الدنيا والآخرة، فهي لا تدعوا إلى العزلة والفقر وإنما تنادي لكسب والعيش الرغد.[3]

---

[1] عبد العزيز الشهبي، الزوايا والصوفية والعزلة والاحتلال الفرنسي في الجزائر، دار المغرب ، الجزائر، د. ت، ص 151.

[2] أبو قاسم سعد الله، تاريخ الجزائر...ج1المرجع السابق، ص 517.

عبد الله زروقي، الطرق الصوفية...، المرجع السابق، ص 87-89.

5- الطريقة الرحمانية :

وهي الطريقة الصوفية تأسست خلال القرن 11م، تفرعت عن الطريقة الخلواتية وهي تنتسب بالشيخ عبد الرحمن القشتوليالجرجري الأزهري ولد سنة 1026هـ-1720م، في قرية بوعلاوة وهو ملقب" بوقرين" حيث درس على يد عدد من العلماء وشيوخ التصوف، وهذه الطريقة الصوفية تستمد تعاليمها من الطريقة الشاذلية أما وِرْدْ الطريقة الرحمانية هو " لا إلاه إلا الله هو حق حي القيوم قهار" وذلك في كل وقت ولا سيما في عصر كل جمعة، إلى عصر كل خميس"[1]

إضافة إلى طرق أخرى كانت منتشرة في الجزائر بشكل كبير، الحنصالية منتسبة للشيخ الحنصالي 1144هـ -1702م العيساوية 936هـ/ 1529م، الكوزازية الأحمدية 1016هـ/ 1607م، الشيخية 1026هـ /1617م، الطيبية 1089هـ/ 1678من السنوسية 1256هـ/ 1840م، والعلاوية نسبة إلى أبو عباس أحمد بن مصطفى بن عليوة المعروف بالشيخ العلاوي 1190هـ/ 1869م، وكلا هاتين الطريقتين السنوسية والعلاوية كانتا في العهد الاستعماري.[2]

يمكن القول في ختام هذا الفصل أن التصوف بدأ في المشرق وانتقل إلى المغرب العربي، عن طريق عدة شيوخ أمثال أبو مدين شعيب، وبدا في انتشار من المشرق الجزائري إلى غربها عن طريق تلامذته مثل عبد السلام ابن مشيش.

وأيضا عرف التصوف مدارس كثيرة ومختلفة انتقلت من المشرق نحو المغرب الإسلامي منها مدرسة أبو حامد الغزالي وعرف أيضا مدارس محلية مثل مدرسة: عبد الرحمن الثعالبي وغيرها من المدارس إضافة إلى ذلك قامت هذه الحركة الصوفية أقاموا

[1] كمال بوغديري، الطرق الصوفية في الجزائر، الطريقة التيجانية نموذجا، أطروحة لنيل شهادة دكتوراه العلوم في علم الاجتماع ، تحت إشراف ،ميلود سفاري، جامعة لمين دباغين2، سطيف، 2014- 2015، ص 240- 241.

2 أنظر الملحق أول

طرق خاصة بهم وهذه الطرق منسوبة إليهم ومن هذه الطرق نجد طريقة القادرية والطريقة الرحمانية والتيجانية...الخ من الطرق التي لعبت دورا هاما في الثقافة الجزائرية.

الفصل الثاني:

التصوف في الجزائر

الفصل الثاني: نبذة عن الطريقة القادرية.

تنتشر في الجزائر عدة طرق صوفية ،بعضها مشرقية الأصل وعنها تفرعت باقي الطرق وظهرت في المغرب العربي ومن هذه الطرق الطريقة القادرية التي هي أول الطرق الصوفية في الجزائر فلقيت امتداد واسع رغم ذات أصول مشرقية وتبناها كثير من أبناء المنطقة كأبي مدين شعيب،وعبد الكريم المغيلي وآخرون .

المبحث الأول: الطريقة القادرية قبل القرن السادس عشر.

المطلب الأول: مؤسس الطريقة القادرية " عبد القادر الجيلاني"

تنتسب الطريقة القادرية إلى الشيخ عبد القادر الجيلاني أو الكيلاني ، ملقب بسلطان الأولياء وقطب الأقطاب والغوث[1]

مولده ونسبه:ولد محمد عبد القادر ابن أبي صالح عبد الله بن جنكي دوست بن يحي بن داود بن موسى بن عبد الله بن الحسن بن علي بن أبي طالب واسمه من آل بيت ولد عام 471هـ، 1078م[2]، بإقليم جيلان[3] JILANE في مدينة صغيرة اسمها" نيف NIFE" وهو آخر أولاد أبويه عاش يتيما وتربي في كنف جده لأمه فكان ينتسب إليه وأصبح يلقب " بالصومعي" واتبع طريقة جده، لأنه كان صالحا، زاهدا، عامدا لذا نشأته كانت قوية من حيث التقوى ومكارم الأخلاق.

---

[1]إبراهيم مياسي، مقاربات في تاريخ الجزائر، 1830-1962، دار هومة الجزائر، 2012، ص 85. والقطب الغوث، جمع قطب والقطب قد يسمي، الغوثا باعتباره هو الخليفة الباطن وسيد أهل الزمان ويقصد بالباطن هو باطن نبوة محمد عليه السلام، أو الحقيقة المحمدية وهو سيد الوجود في كل عصره، وهو للوجود بمنزله الروح للجسد، : أنظر محمد احمد لوج، تقديس الأشخاص ...، المرجع السابق، ص،ص93،94.

[2] عبد القادر الجيلاني، سر الأسرار ..." المرجع السابق، ص ،ص19،20.

[3]إقيم جيلان، اسم بالكسر الجيم، اسم بلد من وراء طبرستان وهي قرى في مروج بين جبال،يُنسب إليها جيلاني، أنظرا: الياقوت الحموي ،معجم البلدان، مج2،دار الصادر،بيروت –لبنان،1995،ص 201.

وكان عنده طموح في معرفة أصول الشريعة وفروعها، فلم يجد في بلاده جيلان ما يروي طموحه، لهذا سافر إلى بغداد[1] وهو عامل نفسا تواقة للعلم وصل إلى بغداد سنة (488هـ- 1095م) كان عمره 18 سنة، حيث اختار هذه البلاد لأنها كانت تعرف تطورا وتقدما علميا وثقافيا وأمضى بها حوالي 73 سنة[2]،

يمكن تقسيم مراحل حياته إلى فترتين :الفترة الأولى: فترة مهمة في حياته فيها الدروس وتسمى فترة الدراسة والتحميل(488هـ- 521هـ / 1095م، 1127م) في هذه الفترة كان يعيش حياة قاسية من فقر وجوع وعراء، حتى قيل عنه مجنون، وقضى فترة من حياته بعيدا عن الناس ثم أصبح يسأل عن الفقهاء والمحدثين من أجل تلقي العلم.

أما الفترة الثانية: فامتدت من (521هـ- 561هـ /1127م- 1166م)[3] وتعتبر فترة مهمة في حياته حيث كان يدرس ويقوم بإرشاد والإصلاح ، وقد نجح الشيخ في هذه المرحلة نجاحا كبيرا، والممتد على ركائز مهمة هي التي أهلته إلى النجاح ومن هذه الركائز تربية المردين وهي قول الله عز وجل:" ولله العزة ولرسوله والمؤمنين" (سورة المنافقين، الآية 63) وكذلك ازهد في الدنيا في حبك الله وأزهد بحبك الناس" (رواه ابن ماجة)[4]

بعد التطرق لأهم مراحل حياة الشيخ عبد القادر لا بد من ذكر بعض صفاته التي جعلت الناس تتأثر به ومن هذه الصفات نذكر ما يلي:

---

[1] بغداد: اختارها الخليفة أبو جعفر منصور لتكون عاصمة الدولة العباسية، أطلق عليها اسم الزوراء، أنظر: بشير فرنسيس، بغداد تاريخها وأثارها، مطبعة الرابطة، بغداد،1995، ص 5.

[2] عبد الرزاق الكيلاني، الشيخ عبد القادر الجيلاني، الإمام الزاهد القدوة، دار القلم، دمشق- سوريا، 1994، صص92...100.

[3] المرجع نفسه، ص،ص 102،103

[4] المرجع نفسه، ص،ص 121 ، 123

صفاته الجسمية: كان الإمام نحيف البدن وعريض الصدر وطويل اللحية وحاجبيه مقرونين ذا صوت جوهري.[1]هذا فيما يخص الشكل ومظهره الخارجي، أما صفاته المعنوية:

يقال انه سريع الدمعة، ودائم الذكر وكثير الفكر وقلبه رقيق وذو أخلاق شريفة، كان يجتهد في أداء العبادة وكان يجالس الضعفاء ويتواضع للفقراء.

ومن الشمائل التي تربى عليها وبقيت مرافقة له من جيلان إلى بغداد الصدق حيث كان صادقا مخلصا في أمواله وأقواله طوال حياته، وثانيا كرمه وسخائه حيث كان كريما جوادا بما معه ويحب إطعام الناس وكان يدعوا الناس إلى الفضائل وينهى عن المعاصي والرذائل، ومن صفاته أيضا التواضع، ومن كثرة تواضعه توافد الناس عليه وكان لين الكلام مع الناس ويتحمل أخطاء طلبته[2].

تأسيس الطريقة القادرية 561هـ/1166م" قام الشيخ بتأسيس طريقة خاصة به بعد أن أصبح للعلماء التصوف، وقد تم تأسيسها وفق سبعة أسس متمثلة في المجاهدة، التوكل ، حسن الخلق، الشكر، الصبر، الرضا، الصدق، هذه الأسس اعتمد عليها الشيخ من خلال التنشئة التي نشأ عليها، وكان يطلب من تلامذته ومريديه أن يراعوها وأن يسيروا على هذه الخطى، وهذه الطريقة لا تخرج عن الكتاب والسنة ونجعل الشريعة الإسلامية حاكمة عن الحقيقة[3]. والفقه هو الدليل الذي يسير على ضوءه التصوف وتدعوا إلى مكارم الأخلاق

[1] عبد القادر الجيلاني، منظومة أسماء الله الحسنى، تج، محمد عبد الكريم، ط2، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، لبنان، 1999، ص 17.

[2] عمر محمود حسين السامرئي، الشيخ عبد القادر الجيلاني ومنهجه في التربية والسلوك، دار الزنبقة، القاهرة، 2019، ص،ص 79،80.

[3] الحقيقة: هي المرحلة الثالثة من تدرج الصوفي في طريق الشريعة لأن هناك شريعة وحقيقة وطريقة، والشريعة هي الأحكام الشرعية والطريقة هي كيفية العمل بهذه الأحكام والحقيقة هي أن يكشف له الحجب الغيبية فيرى الحقائق الأشياء بسر خالقها أنظر: أبو حامد الغزالي، إحياء علوم الدين، دار الفكر، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان،1986 ص 82.

وحسن التعامل بين الناس، وبين مؤسسيها حقيقة التصوف كما يراه، فهو لا يجيء بلبس الصوف ونقل حكايات الصالحين والتسبيح فقط بل هو مجاهدة وعمل وإخلاص وهو يجيء بالصدق في طلب الحق، والزهد في الدنيا وأخضع التصوف للفقه ومنع الشريعة من أن تدور في فلك السياسة حيث كان ناقما على العلماء الذين يصبحون الحكام والملوك[1] .

إن هذه الطريقة خالية من الأفكار الفلسفية التي كانت سائدة في عصره" وخاصة الفلسفة اليونانية التي تأثر الكثير من المتصوفة بها، وكانوا يستخدمونه عدة ألفاظ ومصطلحات، مثل "الهولي" وهي لفظ يوناني يعني الأمل والمادة وهو جوهر في الجسم "كما أنه يركز على الجانب العلمي، ووضع الشيخ مجموعة من الآداب والتعاليم التي تتناسب مع الطريقة سواء مع النفس أو مع الناس، إن اعتماد الشيخ على السنة والكتاب جعل الكثير من أشخاص ينقلون طريقته إلى مختلف أنحاء العالم الإسلامي، وهذا ما يدل على قوة ومتانة الركائز التي يعني بها طريقته[2]

كرامته: اشتهر الشيخ عبد القادر الجيلاني بعدة كرامات [3]وهذا حال جميع شيوخ الطرق الصوفية، لأنهم على يعتمدون الكرامات حيث أن كتبهم مملوءة بالغرائب والعجائب، فمنها ما يرفضه العقل وحتى الشرع، وركز هؤلاء الشيوخ على الكرامات لأنهم لم يكن لهم حجة وعلم أصيل، يبرزونه وكانوا يعتمدون على اختلاف الحكايات وتناقل الخرافات من أجل إدخال في أذهان عامة الناس، وضرورة اللجوء إلى الأولياء والاستعانة بهم، ومن الكرامات التي تنتسب إلى الشيخ نذكر منها، دون التفصيل فيها أنه كان؛ يمشي في الهواء على رؤوس الإشهاد

[1] عبد الرزاق الكيلاني، الشيخ عبد القادر الجيلاني...المرجع السابق، ص 245-246..250.

[2] علي محمد الصلابي ، العالم الكبير والمربي الشهير عبد القادر الجيلاني، مؤسسة أقرأ القاهرة ، مصر، 2007، ص 73

[3] الكرامة: هي ظهور أمر خارق للعادة من قبل شخص غير مقارب للدعوة الحق النبوة أنظر: حكيم ميلود الكرامة الصوفية في منطقة تلمسان، دراسة أثر وبيولوجية، سيمائية،مذكرة لنيل شهادة الماجستير ، إشراف،عبد الحميد بورايو،معهد الثقافة الشعبية، جامعة أبي بكر بلقا يد تلمسان، 1997-1980، ص 45.

في مجلسه" وأن " الشمس قبل طلوعها تسلم عليه وتخبره بما يجري فيها" " وحتى الشهر يأتي إليه ويخبره ما يحدث فيه" وقيل أيضا أنه عندما زاره احدهم وبقي عنده مدة من الزمن، عندها أراد المغادرة فقال له:" مص أصبعي" فقال:" مصصته" فلم يصبني جوعا طوال الطريق عودتي إلى مصر"[1]وتعبر هذه الكرامات خيالية ولا يتقبلها العقل.

وفاته:توفي الشيخ عبد القادر الجيلاني سنة (561هـ/ 1166م) عن عمر يناهز 91 سنة [2]، وقد مرض قبل وفاته بعدة أيام وترك الأمام 49 من الأبناء منهم 27 ذكور والباقي إناث وعمل أولاده رفقة مربيه على استمرارية الطريقة القادرية"[3].ولديه مقام في بغداد[4].ومن شدة تأثره أبي ميدين شعيب قام ينقل طريقته إلى الجزائر، ووُضع له مقام بني في الجزائر وهو على مسافة 800 متر عن باب عزون على شاطئ البحر وقد جدده الداي أحمد باشا عام (1223هـ- 1808م)[5] .

المطلب الثاني: ظهور الطريقة القادرية في الجزائر

ظهرت الطريقة القادرية في الجزائر بفضل أبي مدين شعيب الذي التقي مع الشيخ عبد القادر الجيلاني وتتلمذ على يده في مكة ثم عاد إلى الجزائر لذا لا بد من التطرق لهذه الشخصية.

---

[1] سعيد بن مسفر بن مفرح، القحطاني، الشيخ عبد القادر الجيلاني ورواده، الاعتقادية والصوفية، جامعة أم القرى،الرياض، 1997، صص 575...579.

[2] عبد الرزاق الكيلاني، الشيخ عبد القادر...المرجع السابق، ص، 256.

[3] يوسف محمد طه زيدان، عبد القادر الجيلاني، دار الجبل بيروت، لبنان، 2001، ص110

4 أنظر إلي الملحق الثاني

[5]بن عتو بلبراوات، المدينة والريف بالجزائر في أواخر العهد العثماني، مذكرة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث المعاصر، وهران،إشراف،بلقاسمي بوعلام،قسم التاريخ وعلم الآثار،جامعة وهران، 2007-2008، ص73

الشيخ أبو مدين شعيب بن الحسن الأنصاري الإشبيلي

مولده ونشأته: ولد عام (520هـ/ 1126م)[1] في حصن قنتيلة شمال شرق مدينة أشبيليا بالأندلس، عاش حياة بسيطة في طفولته حيث قام إخوانه بحرمانه من التعليم من أجل الرعي لم يعجبه وضعه فقرر مغادرة الأندلس والاتجاه إلى المغرب الأقصى، ليحصل على ما حرم منه بمسقط رأسه وعندما وصل "سبتة" نزل عند احد صيادي السمك واشتغل عنده لفترة وجيزة ثم اتجه إلى مراكش وعند وصله أخذ يبحث عن أندية العلم والعلماء، ونصحه الكثير بالتوجه إلى فاس التي كانت تعج بالحياة الاقتصادية الناهضة، والمتطورة والازدهار الفكري والثقافي ومن هنا بدأ يبحث عن مجالس العلماء وحلقات الشيوخ والوعاظ والمرشدين من اجل أن يزود نفسه وعقله بالعلم والمعرفة:" إلا انه لم ينل مراده من الحلقات التي كان يرتادها، وإلي أن التقي بأبي الحسن ابن حرزهم (559هـ/1164م)[2] وقد أعجب هذا الأخير به وبفطنته ونباهته، وتعطشه للمعرفة فلم يبخل عليه بمعارفه، فأصبح ينكب على تحصيل العلوم والمعارف منه في أوقات دروسه وفي نفس الوقت أصبح يعمل في نسخ الكتب لدى الناسخين من اجل إعانة نفسه.[3]

وقد تأثر أبو مدين بكثير من العلماء المتصوفة خاصة الإمام الغزالي وكان يتردد على هؤلاء العلماء كثيرا[4] وبعد هذه المرحلة من حياته في التنقل والترحال من اجل إرواء

---

[1] يحي بوعزيز، أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة، ج2، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1995 ص ،ص13،14.

[2] أبي يعقوب يوسف بن يحي التدلي، التشوق إلى رجال التصوف وأخبار أبي الدباس السبتي، تح: أحمد توفيق، ط2، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء 1997، ص 320.

[3] نصيرة الشينة، الشعر الصوفي المغربي أبو ميدين الغوث وعفيف الدين التلمساني نموذجا، دراسة سيمائية أطروحة لنيل شهادة دكتوراه علوم الأدب العربي المغربي القديم،إشراف،إسماعيل زردومي، جامعة باتنة1، 2017-2018، ص،ص 32،33.

[4] يحي بوعزيز أعلام الفكر والثقافة...،المرجع السابق،ج2 ،ص 15.

ظمئه بالعلوم والمعرفة، توجه الشيخ أبو مدين للشرق، فأخذ عن أعلام العلماء واستفاد من الزهاد والأولياء وهنا تعرف على الشيخ عبد القادر الجيلاني، فقرأ عليه كثيرا من الحديث وألبسه الخرقة[1] الصوفية وأودعه كثيرا من أسراره، وكان أبو مدين يفتخر بصحبة فقد تأثر به واخذ الطريقة القادرية عليه وعندما جاء إلى الجزائر قام بنشرها.[2]

وبعد هذه الرحلة الطويلة عاد إلى المغرب الإسلامي ومر على مدينة بجاية واستقر بها وبدأ في التدريس والتعلم وأقبل عليه طلبة العلم من كل مكان باعتبار بجاية كانت مزدهرة في جميع المجالات ودرس الكثير من الطلبة أمثال محي الدين بن عربي دفين دمشق، (590هـ/ 1193م) وكان يستعمل كتابة الرسالة القشرية في التصوف أبي القسم عبد الكريم القشري، (ت 462هـ/ 1070م).[3]

بقي أبي مدين في بجاية حوالي عقد من الزمن من اجل التعليم والوعظ والإرشاد وورث الطريقة القادرية للشيخ عبد السلام بن مشيش أحد مشايخ الطريقة الشاذلية حيث أن كل الفروع الطرق الصوفية أصلها هي الطريقة القادرية، رحل إلى تلمسان وفي طريقه قال:" أني منيتي قربت، وبغير هذا المكان قدرت" واشتد به المرض فلما وصل إلى وادي يسر توفي سنة (594هـ/ 1197م) فحُمل إلى العباد مدفن الأولياء وسمع أهل تلمسان بجنازته.[4]

[1] الخرقة: هي ارتباط بين الشيخ والمريد وتحكيم من المريد للشيخ وهي اللباس الذي يقدمه الشيخ لطالب نفسه أنظر: أبو حامد الغزالي،إحياء علوم الدين، المرجع السابق، ص 102.

[2] محمد بن مريم التلمساني، البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان،تح،محمد ابن أبي شنب ،مطبعة الثعالبية الجزائر، 1908، ص 132.

[3] يحي بوعزيز، أعلام الفكر والثقافة... المرجع سابقن،ج2ن ص 17.

[4] الشيخ بن محمد المقري التلمساني، نفح الطيب من غصن الأندلسي الرطيب، حققه إحسان العباس، مج 7، دار صادر ، بيروت، 1988، ص 142.

المطلب الثالث: مساهمة عبد الرحمن الثعالبي في الطريقة القادرية.

ولد الثعالبي سنة (786هـ/ 1385م) بناحية واد يسر على نحو ست وثماني كيلومترا بالجنوب الشرقي من عاصمة الجزائر، نشأ نشأة علم وصلاح وتقوى، أخذ عمله من علماء المنطقة ، ثم ارتحل إلى بجاية فنزل بها سنة (802هـ/1399م) ولازم حضور مجالس علمائها، ثم انتقل إلى تونس سنة (809- 1406م) فلقي بها جلة من أكابر العلماء فانتفع بهم ثم انتقل إلى مصر سنة (817هـ/1414م)[1] ، ثم دخل إلى بلاد الترك، وهناك أقيمت له زاوية ثم قصد البقاع المقدسة لأداء فريضة الحج ليعود إلى تونس واخذ إجازته من هناك، عاد الشيخ بعد هذه المرحلة من التنقل من اجل العلم إلى الجزائر ليتفرغ لنشر العلم ووعظ الناس وإرشادهم وتخرج على يده الكثير من طلبة العلم منهم محمد المغيلي التلمساني.

كان زاهدا عابدا وراعا من أهم مريدي الطريقة القادرية، وكان التصوف أخصب جانب في شخصية عبد الرحمن الثعالبي[2]، حيث أنه استمد تصوفه من الكتاب والسنة، وقد انتشرت في عصره النزعة الغزالية في التصوف، وهذا التيار فرض نفسه على كثير من العلماء كان منهم الإمام عبد الرحمن الثعالبي ، وكذلك وجد شبه بين الطريقة التي يسلكها وهي الطريقة القادرية[3] وبين النزعة الغزالية [4]في التأليف وفي الأفكار والمواقف ويمكن أن نبرز نزوع الثعالبي إلى التصوف والزهد حالة العصر التي كانت سائدة وتتمثل في الرُكود

[1] عبد الرحمن بن محمد الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، الجزء2، دار الأمة،الجزائر، 2009، ص 360.

[2] صالح مؤيد العقبي، الطرق الصوفية، والزوايا ...المرجع السابق ، ص 765.

[3] عبد الرحمن الثعالبي الجزائري، الإرشاد لما فيه من مصالح العباد، تح: محمد فؤاد بن الخليل القاسم الحسني، دار الخليل القاسم الحسني، الجزائر، 2007، ص 13.

[4] النزعة الغزالية: هي من إنتاج أبو حامد الغزالي وكان له دور كبير في المدرسة الصوفية في المغرب وكل من كان يتبع الزهد، يعود إلى أبو حامد الغزالي، أنظر: عبد السلام غرميني، المدارس الصوفية...، المرجع السابق، ص 401.

والضعف في المجال السياسي والتمزق الاجتماعي وخصوصا معالم البذخ والانحلال في المجتمع الجزائري[1] .

ساهم عبد الرحمن الثعالبي من خلال التأليف الجمة التي زود بها الطريقة القادرية وهي:"التفسير"،"الجواهر الحسان في تفسير القرآن"،"روضة الأنوار ونزهة الأخيار" وهذا الكتاب يحتوي على قواعد كثيرة وكتاب "النقاط الدرر" وكتاب" الدر الفائق في الأذكار والدعوات والعلم الفاخر في أحوال الآخرة"[2] إضافة إلى " جامع الأمهات في أحكام العبادات" "رياض الصالحين" و " الإرشاد في مصالح العباد" " تحفة الإخوان في إعراب بعض أي من القرآن" " شرح " الأنوار المضيئة" و"قطب العارضين" في التصوف.

توفي سنة (875هـ/1470م) ودفن بمدينة الجزائر مخلفا ورائه حوالي تسعين مؤلفا في مختلف العلوم سواء الفقه أو التصوف...الخ من العلوم[3]

المبحث الثالث: بعض المشايخ الطريقة القادرية في الجزائر.

المطلب الأول: الشيخ أبو عبد الله محمد بن عبد الكريم المغيلي (831هـ- / 1127م-)

هو أبو عبد الله محمد بن عبد الكريم بن محمد المغيلي التلمساني التواتي احد أعلام الجزائر ولد بتلمسان ونشأ بها وحفظ القرآن الكريم في صغره ورحل إلى بجاية فدرس بها

[1] عبد الرزاق قسوم، عبد الرحمن الثعالبي والتصوف، تق:محمد القاسي الحسني، دار عالم الأفكار،د،م،ن، 2006، ص 67-68.

[2]أبو قاسم محمد الحفصاوي بن الشيخ بن أبي قاسم الديسي، تعريف الخلف برجال السلف، طبع بمطبعة بيرقو فتانة الشرقية ،الجزائر، 1906، ص66.

[3] عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر، ط2، مؤسسة نويهض الثقافية، بيروت لبنان، 1980، ص،ص 90،91.

العلم وأخذ عن مشايخها أخذ عن الشيح والإمام عبد الرحمن الثعالبي وهو من مريدي الطريقة القادرية كان رجلا مقدما جريء القلب، فصيح اللسان[1].

عندما توسعت مداركه ومعارفه انتقل للتدريس كشيخ وأستاذ في تلمسان وقد لاحظ الفساد السياسي الذي يسود حكام تلمسان "بني زيان"والتفسخ والانحلال الذي يعم مجتمع المدينة الزيانية وذلك الفساد كان ناتجا عن خروج أمراء بني زيان عن جادة الإسلام وأيضا استسلامهم للقوى الأوروبية متمثلة في اليهود والإسبان والبرتغال لذا قرر الهجرة[2]، عام 1452 إلى توات[3]، وذلك من اجل نشر العلم والدعوة في سبيل الحق وأن يقوم بواجبه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهناك جلس للتدريس وبني زاويته القادرية، وذاع صيته في كامل الصحراء وحارب اليهود الذين استبدوا واستكبروا في توات وبقي يسعى حتي قضي في هذه المنطقة ولقد قضي الشيخ المغيلي سنين عديدة في منطقة توات، وبذل جهودا إصلاحية جبارة في عدة ميادين منها التعليم، تصحيح الأفكار والعقائد السائدة ولقد مست إصلاحاته على الجانب السياسي من خلال تنظيم الحكم والشؤون الداخلية[4]

كما قام بنشر الطريقة القادرية في الجنوب الجزائري، ووصلت حتى السودان الغربي متمثلة في القبائل الإفريقية، واهتم بالتدريس ونشر المعرفة من خلال زاويته القادرية، وأصبحت هذه الزاوية قطبا علميا يأتي إليه الطلبة من قلب الصحراء من أجل التعلم وتلقي

[1] عبد الرحمن بن محمد الجيلالي، تاريخ الجزائر... ، ج2،مرجع سابق، ، ص 72.

[2] يحي بوعزيز، أعلام الفكر والثقافة ... مرجع السابق،ج2، ص 144.

[3] إقليم توات، يتوسط إقليم توات الجهة الغربية من الصحراء الكبرى، ويقع في الجنوب الغربي للجزائر ويمثل حاليا أدرار، أنظر: مبارك بن الصافي جعفري، العلاقات الثقافية بين توات والسودان الغربي، خلال القرن 12هـ، دار السبيل، بن عكنون، الجزائر، 2009، ص 31.

[4] عبد الله مقلاتي ،محفوظ مرموم، دور منطقة توات الجزائرية في نشر الإسلام والثقافة العربية إفريقيا الغربية، وزارة الثقافة الجزائر، 2009، صص72...97.

الدروس على يده، كان المغيلي مفتي في توات وقد خالف عدة علماء بمنطقة توات وأهم ما قام به هو نشر الدين الإسلامي في السودان الغربي ودليل ذلك انتشار الطريقة القادرية في هذه المناطق[1].

وبعد هذا المشوار الحافل بالإنجازات خلف لنا بعض الآثار الفكرية في ميدان التأليف نذكر منها:

1-"البحر المنير في علوم التسيير.

2-تفسير سورة الفاتحة في ورقة واحدة.

3-أكليل معنى النبيل وهو شرح على معنى الخليل.

4-مفتاح في علم الحديث.

5-كتاب الفتح المبين".[2]

توفي الشيخ الإمام الزاهد عبد الكريم المغيلي سنة (909هـ /1509م) في منطقة توات ودفن بها[3].

المطلب الثاني: الشيخ مصطفى الغريسي وابنه محي الدين

أولا: الشيخ مصطفى الغريسي (12هـ/18م)

هو أحمد المختار بن عبد القادر بن عبد القوي أحد أجداد الأمير عبد القادر ولد بمنطقة معسكر وبالضبط في منطقة غريس ونشأ على العلم وحفظ القرآنشُد إليه الرحال من

[1] نفسه، ص،ص 97،98

[2] يحي بوعزيز، أعلام الفكر والثقافة... المرجع السابق، ج2،ص 155-156.

[3] عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر من ...، المرجع السابق، ص 308.

سائر الأقطار لأخذ العلم، وتلقين الأذكار القادرية[1]، وأخذ الطريقة القادرية على الشيخ عبد القادر المشرفي[2]، وعند إتمامه التعلم في الجزائر قام بالحج وزار مدينة بغداد وعند تواجده فيها ، كانت الطريقة منتشرة فقام بأخذ الطريقة ولبس الخرقة هناك،على مقدم الشيخ عبد القادر الجيلاني وتبرع من ماله الخاص من أجل توسيع ضريح الشيخ، وأصبح يعرف الضريح بعد زيارة مصطفى الغريسي له ضريح الشيخ عبد القادر الجيلاني مضاف له " مصطفى المغربي".[3]

وكذلك قام بتأليف شعر أو منظومة في مدح الشيخ عبد القادر الجيلالني، تحت عنوان " عقد جواهر المعاني ومناقب الغوث عبد القادر الجيلاني، يذكر فيها مناقبه وكرامته ومطلع القصيدة:

أقول لمن أعيا الطيب علاجه وقد قيل من شرب دوائه لعلته

إلا لذا بمحيي الدين المنى وعول عليه في الأمور المهمة[4]

قام الشيخ مصطفى بتأسيس زاوية القيطنة عام (1200هـ-1787)[5] وتفرغ للتعليم بها والتدريس بها، وأمضي حياته كلها في التعليم داخل الزاوية قام بعدة رحلات للحجاز من

[1] عبد المنعم القاسمي الحسني، أعلام التصوف في الجزائر من البدايات إلى غاية العالمية الأولى، دار الخليل القاسمي، جامعة ورقلة، 2005، ص 79.

[2] عبد القادر المشرفي: هو عبد القادر بن عبد الله بن محمد المشرفي الغريسي، له اشتغال بالتاريخ من فقهاء المالكية من آثاره" بهجة الناظر في أخبار الداخليين تحت ولاية الإسبان بوهران من الأعراب بني عامر"، توفي عام (1192هـ-1778م) أنظر: عادل نويهض، معجم أعلام ...، المرجع السابق، ص 303.

[3] يحي بوعزيز، موضوعات وقضايا من تاريخ الجزائر والعرب ،ج1، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2009، ص 470.

[4] عبد المنعم القاسمي، أعلام التصوف ...المرجع السابق، ص 80.

[5] محمد بكار، الشيخ محي الدين بن مصطفى والزاوية القادرية، في مجلة الأفاق، العدد الثاني مارس 2015، جامعة حسيبة بن بوعلي، شلف، ص 42.

أجل الحج وخلال عودته من حجته الرابعة وافته المنية، بعدما نال منه المرض وقد توفي في برقة الليبية عام (1212هـ/1797-1798م) فدفن قرب درنة وما يزال قبره معروف حتى اليوم ومكتوب عليه " هذا قبر سيدي الحاج مصطفى الغريسي".[1]

ثانيا: الشيخ محي الدين.

هو خليفة أبيه الشيخ مصطفى الغريسي هو الشيخ محي الدين بن مصطفى بن مختار عبد القادر بن أحمد والد الأمير عبد القادر الجزائري من كبار رجالات الطريقة القادرية، وناشريها بالغرب الجزائري، بوادي الحمام ولد سنة (1190هـ/1776م/ 1777م)[2]، ونشأ بطرف غريس[3]، درس على يد أبيه مؤسس زاوية القيطنة وورث عن والده المشيخة وأصبح من علماء الصوفية القادرين، اشتهر بالصلاح والسداد وغزارة العلم، فتزعم حركة الجهاد ضد الفرنسيين 1830م، مع أبنه الأمير عبد القادر واشتهر بمقاومته أيضا لسياسة الحكام العثمانيين في الجزائر في الجهة الغربية المتمثلة في السياسة القمعية،" وهي إثقال كاهل السكان بالضرائب المجحفة"، مما جعله عرضة للاضطهاد من طرف الحكام العثمانيين ووُضع تحت الإقامة الجبرية، في وهران إلي أن تم العفو عنه [4]، وسمح له بالذهاب إلي الحج فشد الرحال صحية ابنه عبد القادر براً إلى تونس وبحرا إلى مصر والعجان، واستغرقت رحلة عامين، وأديا مناسك الحج مرتين وقام بزيارة معظم عواصم المشرق ومنها بغداد، التي جدد فيها الشيخ محي الدين أخذ الطريقة القادرية الجيلانية ولبس

[1] يحي بوعزيز موضوعات وقضايا ... المرجع السابق، ج1،ص 450.

[2] عبد المنعم القاسمي ، أعلام التصوف ...، المرجع السابق، ص 387.

[3] غريس، تقع هذه المنطقة في بايلك الغرب الجزائري من الجهة الغربية على مرحلة من معسكر ومرحلة هي يوم"24ميلا"، أنظر: الحاج مصطفى ابن تهامي سيرة الأمير عبد القادر وجهاده تحقيق يحي بوعزيز، دار الغرب الإسلامي ،بيروت، 1995، ص 48

[4] محمد بكار، الشيخ محي الدين...المرجع السابق، ص 43.

الخرقة كما فعل والده، وعند عودته إلى الجزائر قصد قبر والده مصطفي ثم واصل سيره حتى وصل إلى القيطنة سنة (1243هـ/ 1828م)[1]

ومنذ تولي محي الدين شؤون الطريقة القادرية أصبح قبلة لطلبة العلم والزوار من عدة مناطق وبلدان، كل هذه العوامل استهلت من مهمة الشيخ في تسيير الزاوية، بطريقة محكمة وعرفت الطريقة القادرية، في عهده إشعاعا علميا دينيا وثقافيا، لم يسبق له مثيل، وقصدها الكثير من الناس إما من اجل العلم او لمجرد الزيارة، أو طلبا لحاجة الفقراء والمحتاجين ومساعدة المحتاجين وعابري السبيل، والجانب الاجتماعي كان ضمن سمات الكرم والوجود الذي تميز به الشيخ محي الدين[2]

توفي الشيخ محي الدين بعد هذا المسار الحافل من الانجازات داخل زاوية القيطنة القادرية، سنة (1249هـ/1833م) وخلفه ابنه محمد السعيد في رئاسة زاوية[3].

المطلب الثالث: المختار الكنتي

المختار أحمد بن أبي بكر، وهو حفيد عمر بن أحمد البكائي ناشر الطريقة القادرية في الجنوب الجزائري، من كبار رجالات الطريقة القادرية، ولد عام (1142هـ/1729م)[4]، تربى يتيما في كفالة أخيه وكانت طفولته تائهة غير مستقرة، لقد نشأ المختار بين صبيان قومه من أهل الصحراء كان يحفظ القرآن الكريم وكان في نفسه العزيمة على طلب العلم،

[1] الآغا بن عودة المزاري، طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر، وإسبانيا وفرنسا، أواخر القرن التاسع عشر ،ج1، تح: يحي بوعزيز، الدار الغرب الإسلامي، بيروت، 1990، ص،ص 103،104

[2] محمد بكار، الشيخ محي الدين... المرجع السابق، ص 43

[3] عبد المنعم قاسمي، أعلام التصوف...المرجع السابق، ص388.

[4] المرجع نفسه، ص 388

وتهذيب النفس[1]، وتعلم على يد أكبر المشايخ وهو الشيخ علي بن النجيب[2]، وبقي مع شيخه حتى أحتل موقع الصدارة في تلك الطريقة وحاز على مرتبة المشيخة حيث صار، مؤهل للتربية والتدريس وتلقين علم التصوف لتلاميذه ومربيه حيث يصفه البعض على انه علامة العلماء وإمام الصوفية، وقدوة المحدثين.

وأسس الطريقة الكنتية القادرية التي تمتاز بكثرة الصلاة والتسليم على النبي الكريم ومحبته، وهو لم يقم بتلقين أذكار مخصوصة على غرار بعض الطرق الصوفية الأخرى، وإنما كان يشدد على الالتزام بأوامر الشرع، ثم اشتهر فيما بعد بأوراد، وأدعية تمست بالوظائف وهذا الورد يذكر دُبر كل صلاة من الصلوات الخمس، وهو " حسبنا الله وهو نعم الوكيل" مائتي مرة" استغفر الله" مائتي مرة" ولا إله إلا الله الحق المبين" مائتي مرة وهذه الأوراد يداوم عليها المريد بصفة جماعية في ليلتي الخميس والجمعة، ويوم الجمعة بعد صلاة العصر، ومن الأذكار التي أوصى بها المختار، الباقيات الصالحات، وهي الأعمال الصالحة التي تبقى مع الإنسان في حياته[3].

لقد خلف لنا الشيخ المختار الكنتي حوالي ثلاثمائة مخطوط في مختلف العلوم أشهرها:

أولا التفسير: "تفسير البسملة وتفسير سورة الفاتحة"

ثانيا: النحو:" فتح الودود في شرح المقصود والمهدود"

---

[1] أحمد الحمدي، المختار الكبير الكونتي، التصوف والعلم بأزواد إفريقيا جمعية البيت للثقافة والفنون الجزائر، 2009، ص ص،93،94.

[2] علي بن نجيب، هو الشيخ الذي تتلمذ على يده الشيخ المختار الكنتي والتقي به عام (1166هـ- 1743م) ولقنه الأوراد القادرية توفي، (1171هـ- 1757م) أنظر: المرجع نفسه، ص98.

[3] المرجع نفسه، صص 193...208

ثالث التراجم:" مخطوطة الطرائق والتلائف"[1]

وبعد هذا الانجازات والإسهامات التي أضفاها إلى الطريقة القادرية توفي عام (1226هـ/ 1811م) عن عمر ناهز 84 عاما[2].

المبحث الثالث: علاقة الطريقة القادرية بالسلطة الحاكمة وبالطريقة الشاذلية

المطلب الأول: علاقة الطريقة القادرية بالسلطة الحاكمة

إن العلاقة بين السلطة الحاكمة والطرق الصوفية كانت حسنة في البداية ويشوبها نوع من التفاهم والاحترام وهذا الاحترام وليد عن السلطان سليمان القانوني (927-974هـ/ 1520-1566م) حيث كان يحب العلماء كثيرا وكذلك شجع الطرق الصوفية بمختلف أنواعها، فقد انتسب إلى الطريقة القادرية بحكم أن الطريقة كانت هي أصل كل الطرق الصوفية، ومنها تفرعت كل الطرق الصوفية الأخرى، وبانتسابه إليها حصلت الطريقة القادرية على نفوذ[3]، وبمجرد التحاق الجزائر بالدولة العثمانية سنة (942هـ/1519م) قام كل من عروج وخير الدين بربروس[4] بمحاولة كسب القوى الدينية وهذا راجع إلى ارتباط الأهالي الجزائريين بهؤلاء الصوفيين وكذلك اعتمدوا عليها في إقامة حكمهم في الجزائر وبسط نفوذهم ورفعوا شأنهم وأعطوا لهم الدور الوساطة بين الحاكم وسكان إيالة الجزائر،

---

[1] محمد السعيد بن سعد، "الشيخ المختار الكنتي العقبي حياته وآثاره" في مجلة الذاكرة، العدد السابع، جامعة غرداية، الجزائر ماي2016،ص 28.

[2]المرجع نفسه، ص 40.

[3] عبد العزيز سامح إلتر، الأتراك العثمانيون في إفريقيا الشمالية،تر، محمود علي عامر، دار النهضة عربية، بيروت ، لبنان، 1989، ص 107.

[4]خير الدين بربروس، (877-907هـ/ 1470- 1547م) هو من الولاة العثمانيين الأوائل في الجزائر وله عدة انجازات لتحرير عدة مناطق كانت محتلة من طرف الإسبان،استكمل مهام أخوه عروج الذي استشهد سنة1518م، عن عمر يناهز الخمسين سنة ، أنظر: بسام العسلي، خير الدين بربروس والجهاد في البحر،1470- 1547، دار النفائس، بيروت، لبنان، 1980، ص 19.

واستعانة بهم في خلق الأمن والهدوء من خلال إرسالهم للقبائل متمردة من أجل التكلم مع زعماء تلك القبائل لأنهم يكنون لهم الاحترام ، وكذلك كانت تقوم بدعم الحكام العثمانيين للتصدي للعدو الأجنبي وأهم دور لهم هو القضاء على الوجود الإسباني في إيالة الجزائر[1].

وعرفت هذه الطرق الصوفية انتشار منقطع النظير خلال القرن (10هـ -16م) في المدن والأرياف وهذا دليل على الترابط بين السلطة العثمانية وخاصة الطريقة القادرية، لهذا لم يكونوا يعاملونهم نفس المعاملة التي كانوا يعاملوا بها سائر السكان، إضافة إلى ذلك كان الحكام العثمانيين يستشيرونهم ويسهمونهم في المعارك وكانوا يشجعون الطريقة القادرية[2].

لكن رغم تأييد السلطة العثمانية للقادرية إلا أن الحكام العثمانيون تخوفوا من القادرين بسبب ا لتفاف الناس حول الطريقة القادرية مما شجع القادريين على مخالفة للحكومة المركزية وبناء على ذلك فقد تخوف الحكام العثمانيون من ازدياد نفوذها وتعاظم نشاطها وكثرة مؤيديها في مختلف المناطق، فعملت السلطة على بث الفوضى والفساد بدلا من مواجهة العلنية[3]، ولهذا قام القادريون بالانقلاب على الحكم العثماني بعد ثورة درقاوة (1220هـ- 1805م) وذلك الموقف السلطة المركزية من شيوخ الطرق الصوفية، والعلاقة بينهما ساءت في الفترة الأخيرة من الحكم العثماني واتبعت موقف الحذر من السلطة الحاكمة، التي فشلت في استمالة سكان مليانة، وشرشال ومعسكر حيث استقرت بعض العائلات القادرية منها عائلة الأمير عبد القادر متمثلة في جده مصطفى الغريسي[4]، الذي أصبح من مقاومين للسياسة القسوة والظلم، التي اتبعها بعض الحكام وخاصة سياسة فرض الضرائب المجحفة ومن الشيوخ الذين نظروا إلى السلطة العثمانية نظرة حاقدة هو محي الدين والد الأمير عبد القادر حيث أن هذا الأخير كان ضد العثمانيين مما جعله عرضة

[1] صباح بعارسية، مواقف الحكام... المرجع السابق، ص 83

[2] أبو قاسم سعد، تاريخ الجزائر... المرجع السابق، ج1ص 513.

[3] عبد العزيز سامح التر: الأتراك العثمانيون... المرجع السابق، ص 108.

[4] صباح بعارسية،مواقف الحكام...المرجع السابق، ص 84.

للاضطهاد من طرف الباي الحسن أخر بايات الغرب الذي وضعه في الإقامة الجبرية في وهران[1].

المطلب الثاني: علاقة الطريقة الشاذلية بالطريقة القادرية

إن الشاذلية هي نسبة إلى أبو الحسن الشاذلي وهي فرع من فروع الطريقة القادرية حيث نقل تعاليمها تلميذ أبو مدين شعيب وهو عبد السلام بن مشيش وهو بدوره نقلها لتلميذه أبو الحسنالشاذلي وبهذه أسس طريقة خاصة به، وقد تفرعت عن الشاذلية طرق عديدة منها الدرقاوية والشيخية والراشدية نسبة إلى احمد بن يوسف الملياني[2] " وأُسس طريقتهم شبيهة بالطريقة الشاذلية.

وانتشرت الشاذلية في تلمسان ولكنها لم تنتشر في المغرب إلا بشكل محدود[3].

وكانت العلاقة بين هاتين الطريقتين في بداية علاقة تكاملية من خلال ما قام به أصحاب هذه الطرق من صياغة مفهوم جديد للفكر الصوفي الطرقي الذي قاموا بتبسيط ما جاء به الغزالي مع الحفاظ على مبادئ العقيدة والالتزام بالقرآن الكريم وكذلك شهدت هاتان الطريقتان خلاف وصراع ولكنه لم يكن حادا بل كان صراع سياسي بين الزاوية الشاذلية والزاوية القادرية حيث كانت تريد الزاوية القادرية تعبر عن صعود وتزايد نفوذ الحكام العثمانيين والطريقة الشاذلية تريد العودة بالتاريخ المغربي إلى الوراء[4]، فالطريقة القادرية في الجزائر كانت مؤيدة للحكام العثمانيين أما أتباعها في المغرب الأقصى كانوا مناصرين للوطاسين ثم للعثمانيين أما أتباع الطريقة الشاذلية فكانوا مؤيدين للأشراف السعديين في المغرب وتلمسان، لا ينسجمون مع الحكام العثمانيين ومؤيديهم من الطرق الأخرى ، إن

[1] محمد بوشنافي، موقف العلماء من بعض القضايا السياسية الجزائر خلال العهد العثماني، جامعة الجيلالي إلياس سيدي بلعباس، معسكر، مكتبة الرشاد الجزائر ، 2014، ص،ص 20،21.

[2] صالح عباد، الجزائر خلال العهد التركي 1514-1830، دار هومة ، الجزائر، 2012،ص 25.

[3] سامح التر، الأتراك العثمانيون... المرجع السابق، ص 106.

[4] صالح عباد ، ...المرجع السابق، ص 26

وجود إتباع كثيرين في تلمسان وندرومة وغيرها في الغرب الجزائري للطريقة الشاذلية المؤيدين للأشراف السعديين والمناوئين للأتراك العثمانيين

قد أدى إلى ثورات عديدة بتلمسان انتهت بخروج المرابطين الشاذليين منها إلى المغرب الأقصى بعد سيطرة العثمانيين على تلمسان[1]

كما أدى دعم أتباع الطريقة القادرية في الغرب الجزائري مثل بني عامر وغيرهم إلى وقف التقدم السعدي إليها في (957هـ-958هـ/ 1550- 1551م) وفي سنة (964هـ-1556م) عمل المرابطون القادريون على تعطيل المفاوضات التي جرت بين الحاكم الإسباني والحاكم السعدي بوهران قبيل الهجوم الجزائري العثماني على وهران[2].

إن علاقة الطرق الصوفية بعضها البعض بصفة عامة والطريقة الشاذلية والقادرية بصفة خاصة لم تكن على وفاق دائم بل كان التنافس والتحاسد هو الذي ميز هذه العلاقة وهي تسعى إلى تحقيق مكاسب معنوية ومادية[3].

وفي ختام هذا الفصل نستنتج أن قوة ومتانة وأسس التي بنيت عليها الطريقة القادرية هي التي جعلتها تنتقل من المشرق نحو المغرب ،فلقيت في المغرب دعم كبير سواء الصوفيون ومن الحكام العثمانيين خاصة عند دخولهم إلي الايالة الجزائر ،ومازالت هذي الطريقة حتى اليوم رغم التغيرات التي طرأت عليها

.

[1] صباح بعارسية، حركة التصوف في الجزائر خلال القرن العاشر الهجري/السادس عشر ميلادي،مذكرة لنيل درجة الماجستير في التاريخ الحديث ، إشراف عمار بن خروف ،جامعة الجزائر،2005-2006، ص 170.

[2] المرجع نفسه، ص171.

[3] المرجع نفسه، ص 172

الفصل الثالث:

الدور التعليمي للطريقة القادرية

إن التعليم في الجزائر خلال العهد العثماني كان تعليما تقليديا لأنه قائم على المساجد والكتاتيب القرآنية والزوايا والطرق الصوفية، فقد كان أساس هذا التعليم دينيا، يقوم على القرآن ومبادئ القراءة والكتابة البسيطة وهذا الأسلوب كان سائدا في العالم الإسلامي كله ولم يكن حكرا على المغرب العربي، ومن الأسباب التي جعلت التعليم تقليديا هو عدم اهتمام الحكام العثمانيين بهذا الجانب واهتمامهم بالجانب العسكري فقط، وكان التعليم يتم من خلال المجهودات الفردية، وبهذا التعليم التقليدي استطاعت الجزائر الحفاظ على اللغة العربية والعقيدة الإسلامية، وتراثها الثقافي أما فيما يخص التعليم الخاص بالطرق الصوفية والطريقة القادرية فهو مبني على الزوايا وعلى التربية الروحية والدين.

المبحث الأول: التعليم في عهد العثماني

المطلب الأول: الكتاتيب

الكُتاب بضم الكاف وتشديد التاء: موضع تعليم الكتاب، والجمع الكتاتيب .

كتاتيب القرآن خُصصت لاستظهار كتاب الله العزيز وهي أول محل يلتقي فيه الطفل بالحروف الهجائية[1] وهي بيوت تابعة لمرافق المسجد ويطلق عليها اسم كتاب أو "المسيد"[2] والبعض يسميها بالمدارس العادية يتردد علها الأطفال ذكورا وإناثا ابتداء من السن الخامسة أو السادسة[3]، وكان المشرف على التعليم إمام المسجد ويتولى مباشرته نخبة من حفظة القرآن تراعي فيهم عدة مقاييس من بينها الاستقامة وحسن السيرة والسمعة الطيبة ويطلق على هؤلاء حفظة القرآن باسم " الطُلْبَةُ"[4] كما أن لهذا التعليم نظام داخلي تحدد فيه بدقة

[1] محمد بن ميمون الجزائري، التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية،تح:محمد بن عبد الكريم، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ،الجزائر،1972، ص52.

[2] ناصر الدين سعيدوني والشيخ المهدي بوعبدلي، الجزائر في التاريخ العهد العثماني، ج4، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص 203.

[3] بن عتو بلبراوات،المدينة والريف...، المرجع السابق، ص 191.

[4] ناصر الدين سعيدوني و الشيخ المهدي الجزائر... المرجع السابق،ج4، ص 203..

أوقات العمل والاستراحة والعطل [1]ثم تحديد أجرة المعلم، وهذه الأجرة يدفعها أباء التلاميذ وتُجزأ هذه الأجرة فجزء منها يدفع أسبوعيا وجزء آخر يقدم خلال المواسم والأعياد وكذلك دفع بعد ختم بعض الصور، وهذا فيما يخص النظام الداخلي[2] أما عن وظيفة الكتاب أو الكتاتيب فهي تحفيظ القرآن الكريم وتعليم مبادئ وأسس الدين الإسلامي وتعليم اللغة العربية للصغار[3].

عرض طريقة التعليم بالكُتاب

عندما يحضر التلميذ لأول مرة إلى الكُتاب يقدم له الشيخ لوحة خشبية مطلية بطين الصلصال" الغراء" ويسجل فيها الحروف الهجاء العربية في الجهة الواحدة، أما الجهة الثانية فيسجل عليها سورة الفاتحة[4]، ويتم التسجيل بأقلام من القصب وصمغ مصنوع من الصوف المحروق[5]، ثم يبدأ المعلم في تلقين التلميذ هذه الصورة جملة ليحفظها سماعا بدون فهم وما إن يحفظها في أسبوع يمحوها بماء طاهر ثم يدهنها مرة أخرى بمادة الصلصال ويتركها قرب النار أو الشمس لتتشف، ثم يكتب المعلم سورة الناس للحفظ بالتلقين وبالسماع، وهكذا صعداً مع المصحف، أما الحروف يبقى يتعلم فيها إلى أن يحفظها عن ظهر قلب، ويعد هذا كله ينتقل التلميذ إلى مرحلة أخرى وهي الكتابة حيث يقوم المعلم بكتابة سطور من القرآن في جهة من اللوح بقلمه الغليظ على ما كتبه المعلم، والقصد من هذه المرحلة الأولية هي تدريب التلميذ حسن إمساك القلم، والتحكم فيه[6]، وإلى جانب تحفيظ القرآن يتلقى الأطفال في هذه

[1] يحي بوعزيز، موضوعات وقضايا... المرجع السابق،ج1، ص 212

[2] ناصر الدين سعيدوني، الجزائر... المرجع السابق،ج4، ص 203.

[3] مختارية تراري، "التعليم بالكتاتيب القرآنية في الجزائر، في منظور الدراسات النفسية والتربوية المعاصرة "في إنسانيات عدد 14، 15ماي ديسمبر 2001، وهران، ص،ص 7،8.

[4] يحي بوعزيز، موضوعات وقضايا.. المرجع السابق،ج1، ص 213.

[5] مختاري تراري، التعليم بالكتاتيب.. المرجع السابق، ص،ص8،9. أنظر الملحق الثالث

6يحي بوعزيز، موضوعات وقضايا... المرجع السابق،ج1، ص 213.

الكتاتيب قواعد القرآن الكريم وتجويده وترتيله ويحفظون بعض العلوم الفقهية والشرعية واللغوية[1].

لم يكن التعليم في الكتاتيب مرتبط بمرحلة عمرية محددة، وعدد تلاميذه حوالي 20 طفلا يواصلون الدراسة به من 03 إلى 04 سنوات، أما من يرغب في مواصلة الدراسة فيبقى لسنوات أخرى من اجل تعلم[2].

المطلب الثاني: المدارس العلمية والمكتبات

تكاثرت المدارس في العهد العثماني لا سيما في مدينة الجزائر، حيث كان بها حوالي سبع مدارس وكان يقوم على التدريس فيها العلماء مهرة[3].

في مختلف العلوم الدينية وغير الدينية، وجرت العادة أن تؤسس هذه المدارس بجوار المساجد نظرا للصلة الوثيقة بين الدين والعلم، ولكن لا بد على كل مدرسة أن يؤسس داخلها بيت (المسجد) للصلاة وتنوعت العلوم والمعارف التي تدرس ويمكن تصنيفها إلي ثلاث أصناف:

أولا: العلوم الدينية: مثل تحفيظ القرآن وشحه وتفسير الحديث وتعليم الفقه.

ثانيا: علم اللغة والآداب: كالنحو الصرف، البلاغة، العروض، القوافي

ثالثا: العلوم الطبيعية و التجريبية، كالفلك ، الحساب الطب وغيرها.

[1] مختاري تراري، التعليم بالكتاتيب ...المرجع السابق، ص 213.

[2] صليحة البردي، "الممارسة التعليمية في الجزائر أثناء الحكم العثماني دراسة في الواقع والمعطيات"، مجلة الذاكرة، العدد الحادي عشر، جوان 2018، جامعة جيلالي بونعامة خميس مليانة، عين الدفلى، ص 130.

[3] ضيف شوقي، عصر الدولة و الإمارات الجزائر المغرب الأقصى موريتانيا السودان،دار المعارف ،القاهرة،د.ت ، ص 79.

وتوجد في الجزائر مجموعة من المدارس ما زالت قائمة حتى اليوم مثل مدرسة سيدي بومدين بتلمسان.

إضافة إلى مدارس مازونة وغيرها[1]،ويجري النظام في هذه المدارس على قبول طلبة غرباء عن المدينة، تجري لهم منحة يقبضونها على شكل مواد غذائية ويلازمون الدروس إما متخصصين في علم واحد أو مشاركين في عدة علوم، ويكونون مع الطلبة من أهل المدينة وتكون الحلقات مفتوحة من أجل كسب معارف دون قصد الحصول على الإجازة للتدريس أو التوظيف، والأستاذ يكون مراقب لطلبته ثم يقرر من يستحق إجازة وهذا النوع من التعليم مبني على مرونة تراعي الأحوال الشخصية[2].

المكتبات:

إن الجزائر كانت في مقدمة البلدان الكثيرة الكتب والمكتبات، كما أن الكتب كانت تنتج عن طريق النسخ والتأليف، أو تجلب من الخارج كالحجاز ومصر،[3] وقد وجد عدد كبير من المكتبات قبل مجيئ العثمانيين ودليل على ذلك هو وجود المكتبات في كل من تلمسان وبجاية وقسنطينة وكذلك اهتمام بحركة التأليف والنسخ، والجمع وكذلك قام بعض القضاة والدراويش عند مجيئهم إلى الجزائر بجلب مكتباتهم معهم، ومن اهم ما جاءوا به كتب الفقه ونسخ من صحيح البخاري وكتب الأدعية والأذكار الصوفية،[4] ويمكننا تقسيم المكتبات في الجزائر إلى عامة وخاصة ، فالمقصود بالمكتبة العامة هي تلك المكتبات الملحقة بالمساجد

[1] يحي بوعزيز، موضوعات وقضايا.. ، ج1 المرجع السابق، ص212.

[2] بن عتو بلبراوات ، المدينة و الريف...المرجع السابق،ص191.

[3] منصور الدرقاوي، الموروث الثقافي بالجزائر ما بين القرنين 10هـ13هـ و 16م –19م، رسالة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الجزائر الحديث، تحت إشراف فغرور دحو، جامعة أحمد بن بلة وهران، الجزائر، 2014–2015، ص 137.

[4] أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر، .. .،ج 1 المرجع السابق، ص 287–288.

والزوايا والمدارس والتي كانت مفتوحة للطلبة خصوصا ثم إلى مجموع القراء اما المكتبة الخاصة فهي كثيرة، فهي ملك للعائلات والبيوتات العلمية المعروفة[1].

ومن جهة أخرى احتوت المساجد والزوايا مكتبات التي تعتبر بمثابة مكتبات العصر منها العامة والفردية وبها أغلى وأنفس الكتب والمخطوطات التي عمل العلماء وبعض الحكام والأسرة العريقة على جمعها ونسخها ثم تحبيسها لصالح الطلبة[2].

إضافة إلى الريف يحتوي على مكتبات لم تكن تختلف عن المكتبات في المدينة حيث كان لها أهمية كبيرة في أنحاء البلاد وبالرغم من عدم اهتمام العثمانيين بالوضع الثقافي إلا أن الجزائريين يمكن من الاهتمام بالمكتبات وثرائها بالكتب والمخطوطات والحفاظ عليها بشتى الوسائل

المطلب الثالث: المساجد

المسجد هو مفعل بالكسر، اسم لمكان السجود، وبالفتح اسم المصدر، والمسجد بكسر الجيم، مفعل من سجد يسجد والمسجد بكسر الميم، الذي يعني الخمرة، التي تعني الحصيرة الصغيرة وهو كل موضع يتعبد فيه مسجد وهو لفظ بفتح الجيم وكسرها وقال الرسول صلى الله عليه وسلم:" جعلت لي الأرض مسجدا" حيث لا يصلون إلا في موضع حتى يتيقنون من طهارته ومسجد جمعه مساجد[3].

[1] إبراهيم عبو، العلوم النقلية في الجزائر خلال العهد العثماني (10-13هـ/16-19م) أطروحة لنيل شهادة دكتوراه علوم في التاريخ الحديث والمعاصر، إشراف محمد بوشنافي ،جامعة إلياس سيدي بلعباس، 2017-2018، ص 71.

[2] أبو قاسم سعد الله، تاريخ الجزائر، ...ج1المرجع السابق، ص 292.

[3] خيرة بن بلة ، المنشآت الدينية بالجزائر خلال العهد العثماني، رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في أثار الإسلامية، إشراف،عبد العزيز لعرج،معهدالآثار،جامعة الجزائر 2008، ص 32-33.

المسجد هو مكان الذي يتجمع فيه الناس لأداء الصلوات، وتحفيظ القرآن وتعليم الفروض الدينية، وبعض العلوم الإسلامية[1].

وتعدى المسجد الجانب الروحي فقط ليشمل الحياة الاجتماعية، والثقافية والسياسية للمجتمع الجزائري فقد برز المسجد في المجال التربوي والتعليمي، فهناك من رجالات العلم والمعرفة، الذين درسوا في المسجد[2]، والمسجد في الغالب يكون غير منسوب إلى الأولياء والصلحاء بل هو منسوب إلى مؤسسها من السياسيين والعسكريين ونحوهم[3]، والمساجد مقسة إلى نوعين:

النوع الأول: هي المساجد التي تؤسسها الحكام لخدمة المجتمعات وتسيير سبل أداء شعائرهم الدينية

النوع الثاني: أسسها كبار الأثرياء للتقرب إلى الله واستمالة بعض الفئات الإجتماعية، وشيوخ الدين لكسب الشهرة.

والعناية بالمساجد كانت ظاهرة بارزة في المجتمع الجزائري المسلم فلا تكاد قرية أو حي في المدينة تخلو من المسجد، فالمسجد هو ملتقى العباد ومجتمع الأعيان، ومنشط الحياة العلمية والاجتماعية، والمسجد كان رابط بين أهل القرية والمدينة، ونشيد المسجد يكون من الأثرياء المحسنون فهم الذين يقدرون على عملية بناء المسجد والوقف عليه وصيانته، والحكام العثمانيون من سياستهم أنهم لم يكونوا المسئولين عن بناء المساجد، وإذا بني أحد

[1] يحي بوعزوز، موضوعات وقضايا... المرجع السابق،ج1،ص210.

[2] بن عتو بلبراوات ، المدينة و الريف...، المرجع السابق، ص،ص190، 200

[3] يحي بوعزوز، موضوعات وقضايا... المرجع السابق، ج1،ص،ص 210،211

الحكام مسجدا فهذا بماله الخاص[1]، وكثرت المساجد في الجزائر، حيث انفردت كل مدينة بجامعها الأعظم[2].

والمسجد هو أول المؤسسات التي انطلق منها شعاع العلم والمعرفة في الإسلام وقد ظل المسجد مؤسسة تعليمية للصغار والكبار وأول الأمكنة التي تحقق الأهداف العلمية لتربية الناس، وهو مقصد التوجيه الروحي[3].

ومن أشهر المساجد في الجزائر الجامع العظيم في قسنطينة وجامع بجاية وجامع تلمسان والجامع الأعظم في مدينة الجزائر الذي كان خلال العهد العثماني مركزا للنشاط الديني والفكري، ويعد الجامع الكبير من أشهر مساجد الجزائر وفي سنة 1830م، وبلغ عدد المساجد حوالي 109 مسجدا وفي مدينة قسنطينة يوجد حوالي 75 مسجدا خلال العهد صالح باي(ت 1207هـ/1792م)، وبلغت مساجد عنابة حوالي 37 مسجدا أما أشهر مسجد في بجاية هو الذي بناه مصطفى باشا إضافة إلى مسجد الذي بناه أحمد القلبي بالقل سنة (1170هـ/1754م) اعترافا منه يساعده أهلها له عندما كان آغا[4]

أما في الجهة الغربية فقد تعددت بها مراكز التعليم خاصة المنشآت التي أقامها الباي محمد بن العثمان الكبير(ت1233هـ/1799)، فقد قام عدة مساجد وقام، بتكوين نخبة مثقفة

[1] أبو قاسم سعد الله، تاريخ الجزائر ...المرجع السابق،ج1، ص 246.

[2] رشيدة شدري معمر، العلماء والسلطة العثمانية في الجزائر لفترة الدرايات (1671-830هـ)مذكرة لنيل شهادة ماجستير تخصص تاريخ الحديث والمعاصر، إشراف،فلة موساوي القشاعي، جامعة الجزائر، 2005-2006، ص 52.

[3] صالح بن غانم السدلان، "الأثر التربوي للمسجد "،قسم الدراسات العليا،.جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية د.م.ط،.د.ت.ط، ص 8.

[4] رشيدة شدري معمر،العلماء والسلطة...المرجع السابق، ص،ص 52،53.

واعية، وإعداد أجيال تحمل مشعل العلم والمعرفة، وأيضا قام بالعناية بالمؤسسات التعليمية من خلال إصلاح وتشيد المساجد والجوامع في كل من معسكر وفي وهران[1]

ولم يقصر عمل الباي محمد الكبير على المدن الكبرى بل يشمل حتى المدن الصغرى حيث شيد بمدينة البرج الموجودة بضواحي معسكر مسجدا كما شجع حركة التأليف وهذه العوامل شجعت التعليم في الجزائر خلال العهد العثماني، كان إلقاء الدروس في موضوعات كثيرة في مقدمتها، تفسير الذكر الحكيم، ورواية الحديث النبوي، وأيضا تدرس فيه مواد في العلوم الدينية والدراسات النحوية واللغوية ويلقون على الطلاب كتاب الموطأ لابن مالك أو ما يماثله في حتى يتسع فهمهم وفقههم لتعاليم الإسلام ويحاضرونهم في قواعد العربية ويُلقنونهم الشعر والنثر محاولة منهم لغرس أصول العربية في نفوسهم،وليصبحوا قادرين على نظم الشعر والكتابة الأدبية وأصبح كل مسجد يهتم بتدريس أصول الفقه والكلام والمنطق والحساب خاصة في الجامع الأعظم[2]، والمسجد هو مرتع" مكان" لحلقات الدروس اليومية ومحطات لفنون العلوم التي كانت تدرس لذلك العهد لا سيما في المدن والقرى[3].

المطلب الرابع: مساوئ التعليم في الجزائر خلال العهد العثماني

إن التعليم في الجزائر خلال العهد العثماني شهد إيجابيات وسلبيات فالإيجابيات تمثلت في انتشار الزوايا والطرق الصوفية مثل الدور الذي لعبته الطريقة القادرية في هذا الجانب إضافة إلى مساجد والكتاتيب وعدم وجود الأمية في الجزائر"[4] لكن كان له مساوئ خاصة وان الدولة العثمانية لم تكن لها سياسة واضحة ورسمية في هذا المجال، بل تركوه يتطور

[1] بن عتو بلبراوات، الباي محمد الكبير ومشروعه الحضاري، 1779م1779، رسالة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، إشراف بوعلام بلقاسمي،جامعة وهران، 2001-2002، ص 214.

[2] فتحية الواليش ، الحياة الحضرية في البايلك الغرب الجزائري خلال القرن الثامن عشر، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث،إشراف مولاي بلحميسي، جامعة الجزائر، 1993- 1994، ص 159 .

[3] شوقي ضيف، عصر الدولة ...المرجع السابق،ص 79.

[4] سعيدة رقاد، المؤسسات العلمية...، المرجع السابق، ص 234.

سلبيا وإيجابيا، وكانت اهتمامات السلطة الحاكمة منحصرة فقط في المحافظة على الاستمرار، والأمن السياسي وجمع الضرائب، وهذه المداخل لم تكن تستعمل في شر التعليم والتنمية مؤسساته العلمية، الأمر الذي جعل التعليم مبني على جهود الأفراد والمؤسسات الخيرية[1].

تميزت الحياة العلمية بالخلو من الأصالةوالإبداع والاعتماد على العلوم النقيلة فقط.

كان حال التعليم غير متوازن ولا يخضع لسياسة حكيمة أو تشرف عليه مؤسسة معينة

إن انتشار التعليم كان بفضل مبادرات الفردية مثل ما قام به الباي محمد الكبير رائد التجربة العلمية في الغرب الجزائري

إن الثقافة التعليمية السائدة في الجزائر آنذاك، فقد كانت ثقافة عربية السلامة محضة وكان التعليم الديني الموروث الأكثر انتشارا

ارتكز التعليم أساسا على دراسة العلوم العربية واللغوية والأدبية والعلوم الدينية[2].

إن التعليم في الجزائر لم يكن يرتكز على العلوم العقلية من كتاب وفلك ورياضيات وهندسة وإن اعتمدوا عليها يكون بشكل سطحي مما أدى إلى خلق جمود في هذا الجانب.

وهذا ما جعل التعليم محدود واستمرار الطرق التقليدية في التدريس.

إن مهنة التعليم لم تكن تجلب لصاحبها إلا الفقر لكن تجلب إليه عطف الناس وإحسانهم واحترامهم المعنوي.

نظرة الناس إلى المعلم نظرة الشفقة وعطف للعيشة التي كان يعيشها .

اتخاذ الكثير من المعلمين لمهنة التجارة حرفة بدلا من التعليم لأنه غير مربح ولا تغني حاجاتهم المعايشة[3].إن التعليم في الجزائر كان مبني بالدرجة الأولى على المستوى الأدنى من التعليم أو محو الأمية أما التعليم الحي الذي يعني التعميق في المسائل وتكوين الرأي

[1] أبو قاسم سعد الله ،تاريخ.الجزائر... المرجع السابق،ج1 ص ،ص313،314.

[2] سعيدة رقاد، المؤسسات العلمية...، المرجع السابق، ص 237.

[3] أبو قاسم سعد الله، تاريخ الجزائر، ... المرجع السابق،ج1 ص 317.

المستقل وتذوق المعارف والذي يشبع الفضول والفهم الإنساني إلى المجهول فقد كان قليلا طبعا[1].

المبحث الثاني: منهج التعليمي داخل الزاوية

المطلب الأول: تعريف الزاوية

تعريف الزاوية لغة: الزوايا جمع زاوية وهي مأخوذة من فعل زوى وانزوى بمعنى ابتعد وانعزل، وسميت بذلك لأن الذين فكروا في بنائها أول مرة من المتصوفة اختاروا الانزواء بمكانها والابتعاد عن صخب العمران[2]، ويقال لغة زويت الشيء، قبضته، ومثله زوي الرجل بين عينيه وفي الحديث:" زويت لي الأرض مشارقها ومغاربها" وزى الشيء يزويه زيا وزويا، نحاه فانزوى وزاوية البيت: ركنه، وهي اسم فاعل من زوى لأنها جمعه قطرا منه، ويقال في النسبة إلى الزوايا زواوي " وقد يقال الزواويَ وهو قليل"[3]

تعريف الزاوية اصطلاحا:هي مؤسسات صوفية، وارتباطها بالزهد والتصوف عي في الأصل عبارة عن مجمعات من البيوت والمنازل مختلفة الأشكال[4]والأحجام تحتوي على بيوت للصلاة كمساجد، وغرف لتحفيظ القرآن الكريم وتعليم العلوم العربية الإسلامية وأخرى لسكن الطلبة وطهي الطعام وتخزين المواد الغذائية[5]، كما وصفها البعض أنها مدرسة دينية ودار مجانية للضيافة[6]، وهذه الزوايا شهدت انتشارا واسعا في هذا العهد خاصة في الريف،

---

[1] المرجع نفسه، ص 319.

[2] مؤيد صلاح العقبي، الطرق الصوفية... المرجع السابق، ص 302.

[3] عبد الحكيم مرتاض، الطرق الصوفية ...المرجع السابق، ص 64

[4] المرجع نفسه، ص 65

[5] يحي بوعزيز، موضوعات والقضايا... المرجع السابق، ج12014.

[6] عبد العزيز شهبي، الزوايا والطرق الصوفية والعزابة والاحتلال الفرنسي في الجزائر، دار الغرب للنشر والتوزيع، الجزائر، د.ت.ط.ص 13.

وانتشار الطرق الصوفية التي تتخذ من الزوايا مراكزها واحتلت الصدارة بين المؤسسات الثقافية، وظهرت الزوايا في بلاد المغرب منذ القرن (6هـ- 13م)[1]

دور الزوايا: إن الزوايا في الجزائر منذ تأسيسها لعبت دورا كبيرا في ميدان التعليمي، والميدان الاجتماعي فكانت واجهة في نشر العلم وحل بعض القضايا الاجتماعية وكذلك لعبت دور الديني فالدور التعليمي سوف أتطرق لهذا الجانب في المطلب الآتي بينما الدور الاجتماعي فتمثل في تقريب أواصر المحبة والأخوة بين القبائل والأعراش.

الإطعام والإيواء للمحتاجين والفقراء

مرافقة الناس خاصة خلال الأزمات

تميزت بالكرم والجود والعطاء

كانت ملاذا آمنا للمعوزين والمنقطعين

تتدخل في التحكيم في النزاعات والوساطة لعقد الصلح بين الساكن[2].

دور الديني للزوايا:

عملت الزوايا على تعميق تعاليم الدين الإسلامي

عملت على الحفاظ على السنة ومحاربة البدع

شيوخ الزوايا كانوا محافظين للشعائر الدينية

كانت الزوايا تلقت الأذكار لأتباعها ومريدها وهي أذكار لها علاقة وطيدة بالله تعالى[3]

وفي الجزائر هناك أنواع كثيرة من الزوايا في العهد العثماني، الذين شجعوا إنشاء الزوايا وسمحوا ببناء المقامات وعليه فإنه هناك زوايا مرتبطة مباشرة بطوائف بعينها ونقصد هنا هي الزوايا الخاصة بالطرق الصوفية وهي تكون إما هي زاوية الأم أم فرع تابع لها وهناك زوايا

[1] صليحة البردي، الممارسة التعليمية... المرجع السابق، ص 130.

[2] عبد الله زروقي، الطرق الصوفية... المرجع السابق، ص 116

[3] أبو قاسم سعد الله، تاريخ الجزائر... المرجع السابق،ج1 ،ص 268

تقود هي نفسها طوائف أي هذه الزوايا تكون ملك لشيوخ وهذا النوع من الزوايا يعتبر ملكية خاصة لشيخ ويتصرف فيها وهناك زوايا التي تتكفل فقط بالتعليم القرآن الكريم واللغة العربية بصفة عامة. وهناك زويا أي تقوم مقام دور استقبال المسافرين والشباب والمساكين إضافة إلى أنواع أخرى مثل زاوية تنتسب إلى مكان وجودها أي الزوايا الواقعة في المدن أو في الأرياف[1].

المطلب الثاني: الأطوار التعليم داخل الزاوية

إن المنهج التربوي لا يكون ساري المفعول إلا وفق نظام مؤسساتي كالمدرسة أو مؤسسة الزاوية حتى يكون في إطار المؤسسة يشرف عليها، شيخ معين لرسم منهج تربوي يتوافق مع التلاميذ أو المريدين من أجل تربيتهم وأهل التصوف يتفقون على منهج تعليمي موحد، ينقسم إلى قسمين أو طورين.

الطور الأول:

إن المنهج الذي كان متبع داخل الزاوية يمر بعدة مراحل ويكاد هذا النموذج يسود كل الطرق الصوفية ومنه الطريقة القادرية،والطلبة يتبعون مراحل عدة ، المرحلة الأولى يتم فيها دراسة العلوم الأولية، وذلك بحفظ النصوص القرآنية مدونة على اللوح فإذا تم الحفظ والإتقان لها أجاز الشيخ التلميذ، لأنه صار حافظا للقرآن الكريم[2]، والإجازة ليست شهادة مكتوبة ولكنها تعبير شفوي من المدرس إلى التلميذ ومتى حصل التلميذ على الإجازة يصبح " طالبا" يستطيع قراءة القرآن في الجامع ويتولى وظيفة مؤدب أو كاتب[3] ، ثم يتحول الطالب إلى دراسة العلوم والمصنفات على يد العلماء، ويأتي في مقدمة هذه الكتب كتاب اين عاشور

[1] كمال بوشامة، الجزائر أرض عقيدة وثقافة، تر: محمد المعراجي، دار هومة، الجزائر، 2007، ص 137-138

[2] الغالي بن لباد ، الزوايا في الغرب الجزائري التيجانية والعلوية والقادرية، دراسة أثروبولوجية، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في الأنثربولوجيا، إشراف :محمد سعيدى ،جامعة تلمسان ،أبو بكر بلقايد، 2008-2009، ص 166.

[3] أبو قاسم سعد الله، محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث، بداية الاحتلال، ط3، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982، ص 165.

الفقيه وكتابه " الحجة للشيخ عبد الواحد" كتاب " المرشد المعين" كتاب الإمام مالك في الفرائض الخمس، فيقرأها الطالب مرتين، أو ثلاثة ثم ينتقل إلى علوم اللغة ويبقى ينتقل من مصنف لآخر حيث تبقى ملازمة له طول حياته[1]

المرحلة الأولى: وأخذتها كمثال في الجنوب الجزائري بإقليم توات فتشبه كثيرا الكتاتيب لكن هي مقسمة بدورها إلى ثلاثة مراحل رئيسية

مرحلة المحاكاة: وفيها يحاكي الطفل ما يكتب على لوحته أي يقلد المعلم في القراء.

مرحلة النقل الإيضاحي: حيث يكتب الطفل ما يكتبه الشيخ على اللوح، من دون استخدام الحبر" **الرشم**" أو على طبق يوضع فيه التراب

مرحلة الإملاء: وفيها يكون الطفل قادرا على كتابة ما يمليه عليه شيخه ويكون التوقيت اليومي للدراسة، من الفجر إلى الضحى، أو في منتصف النهار أحيانا، ومن الظهر إلى ما بعد صلاة العصر مساء وفي الليل، وهذا طيلة أيام الأسبوع، عدى الخميس والجمعة صباحا وأيام العطل التي كانت تمنح في المناسبات والأعياد وعندما يبلغ مرحلة متقدمة من الحفظ يضاف إليه بعض العلوم الأخرى، كالأحاديث النبوية، وبعض المتون الفقهية ويبقى هكذا إلى أن يختم القرآن وهنا ينتقل إلى الطور الثاني[2].

الطور الثاني:

في هذه المرحلة يتحول الطالب إلى تعلم العلوم الفقهية على يد شيخه والذي يكون بيده كتاب فقهي هو " رسالة أبو زيد القيرواني(386هـ/996م) يبقى هذا الكتاب مصاحب للطالب ألي أن يسمح له الشيخ بالانتقال إلى المرحلة الثالثة ولا بد على الطالب أن يتقن

[1] الغالي بن لباد ، المرجع السابق، ص 167

[2] مبارك بن الصافي جعفري، العلاقات الثقافية بين توات والسودان الغربي خلال القرن 12هـ دار السبيل للنشر والتوزيع، الجزائر 2009، صص، 134...145.

جميع الشروح الفقهية وفي هذه المرحلة يعمل الشيخ على إجازته لممارسة التدريس في مجال الحفظ والتعليم[1].

يسهر شيخ الزاوية على تقديم برنامج تعليمي للطلبة تكون فيه مواضيع محصورة بين مسائل اللسان والقلب، أي مسائل النحوية: "لسان" يتعلمها حتى لا يقع في الخطأ ولتحسين الكلام، أما المسائل الفقهية "القلب" فهي من أجل التمييز بين ما هو حلال وما حرام وأيضا تمكنه من حل بعض المسائل الدينية ، ومتمثلة في ميراث أو طلاق...الخ تعلم الطالب في البداية طريقة الحفظ والكتابة، فهذه الطريقة تعليمية تنمي القدرات الحسية والعقلية عند الطالب، وتعلمه الصبر فعند انتقاله من مرحلة لأخرى يستغرق فترة زمنية إما أن تكون طويلة أو قصيرة لهذا نجد الطالب أكثر تركيزا وصبرا من اجل الحصول على الإجازة من طرف شيخه[2]

وبما أن الطريقة القادرية وصلت حتى إلى الجنوب الجزائري خاصة منطقة توات عن طريق عبد الكريم المغيلي، فعرفت هذه المنطقة حركة علمية متمثلة في انتشار التعليم الذي كان وفق مراحل ليست مختلفة عن المنهج التعليمي للطريقة القادرية في الغرب الجزائري خلال الحكم العثماني وهذه المراحل تمثلت في المرحلة الأولى التي ذكرتها ف الطور الأول أما المرحلة الثانية فتبدأ بالانتقال الطلبة إلى الزوايا ويكون التعليم في هاته المرحلة أكثر تخصصا وانضباطا ويستفيد خلاله الطلبة القادمين من أماكن بعيدة من الطعام والمبيت، ومن الزوايا الخاصة بالطريقة القادرية في الجنوب نجد الزاوية الكنتية أسسها المختار الكنتي، حيث قام الشيخ بتقسيم الطلبة إلى مستويات، –المستوى الأول يدرس رسالة " حي بن زيد

[1] الغالي بن لباد ، الزوايا في الغرب...المرجع السابق، ص 168.

[2] المرجع نفسه، ص 169

القيرواني (386هـ-996م)" المستوى الثاني، يدرس الألفية ابن مالك (672هـ- 1173م) في النحو، المستوى الثالث يدرس فيه كتاب الموطأ للأمام مالك-[1]

أما المرحلة الثالثة فهي أكثر تخصصا كان لا يحصل عليها إلا قليل من الطلبة والمشايخ والذين تسمح لهم الظروف بالانتقال إلى الحواضر العلمية الكبرى مثل تلمسان والجزائر والقاهرة من اجل مواصلة دراستهم للتطلع على مختلف العلوم ومعرفة كل ما هو نادر ومما لم يستطيعوا الحصول عليه في توات كالتعرف على مذاهب أخرى علك الكلام والفقه، وبعد رجوعهم يتم نقل الكثير من العلوم والبعض منهم يفضل البقاء في تلك الحواضر[2]

مطلب الثالث:زاوية القيطنة

هي من أهم المؤسسات العلمية وأشهرها في بايلك الغرب تأسست هذه الزاوية بمنطقة القيطنة[3]، الواقعة بسهل غريس، أسسها مصطفى الغريسي عام (1200/1787م)[4]وذلك بعد عودته من الحجة الرابعة[5].

كما أن زاوية القيطنة تعتبر في وقتها من اهمم الزوايا على المستوى الإيالة الجزائرية في الميدان التعليمي والجهادي فيما بعد من خلال جهاد الأمير عبد القادر وزاوية القيطنة

[1] مبارك الصافي جعفري، العلاقات الثقافية ...المرجع السابق، ص ص 164-167

[2]المرجع نفسه، ص 150-151

[3]القيطنة،: تقع على الضفة ليسرى من واد الحمام غرب مدينة معسكر، شيدها محي الدين احمد مختار ووزع في وادها الخصب كثيرا الينابيع، آلاف الأشجار المثمرة وبني فيها دورا لسكن العائلة، من الحجر الأبيض ذات سقوف من القرميد الأحمر وفيها بنى معهد القيطنة ، انظر،الأميرة البديع الحسني، الأمير عبد القادر الجزائري حياته وفكره وما بدلو تبديلا، تر: أبو قاسم سعد الله، ج1، ط2، دار الوعي، روبية الجزائر، 2012، ص 15.

[4] سعيد رقاد، المؤسسات العلمية في بايلك الغرب الجزائري خلال العهد العثماني(1700-1830)أطروحة لنيل درجة الدكتورة في الطور الثالث تخصص العلم ومؤسساته في بلاد المغرب في العصور الوسطى الحديثة ، إشراف،محمد داده، جامعة أحمد بن بلة ،وهران، 2011-2012، ص 135

[5] أبو قاسم سعدالله..تاريخ الجزائر،....المرجع السابق،ج1، ص 514.

يوجد بها مسجد صغير باسم عبد القادر الجيلاني وكانت للزاوية حرمة وقداسة بحيث اكتسبت الحماية في العهد العثماني ولم تخضع للقضاء الحكم العثمانيين[1]ويطلق اسم القيطنة على الصوامع أولئك المرابطون الذين يسهرون على تربية الأطفال الصغار ويعلمونهم القرآن الكريم ويعدونهم ليصبحون مرابطين، وهذه الصوامع عبارة عن مدارس[2] وكانت القيطنة مدرسة من المدارس التعليمية الهامة في الجزائر حيث جمعت بين كل مراحل التعليم من أدنى مرحلة حتى أعلاها، كما كانت تضم عدد كبير من الطلاب يتراوح عددهم ما بين[3] (500- 600) حيث لا يسمع المار بها إلا دوي قراءة القرآن في كل وقت مع تدوين العلم بأكثر أنواعه بمساجدها المعدة للصلاة والذي كانت فيه سبع مجالس للتدريس[4].

ومع مرور الزمن تطورت هذه الزاوية أكثر وأصبحت تلقب بمعهد القيطنة نظرا لتوافد العلماء والطلبة عليها[5]، وذلك بعد أن قام بتحديدها الباي محمد الكبير سنة (1206هـ-1792م) وقد جمعت هذه المؤسسة العلمية بين جميع مراحل التعليم، وكانت تعقد بها سبعة حلقات لجلسات العلم التدريس[6]، أما عن أهم العلوم التي كانت تدرس في هذه المرحلة المدرسة فهي غالبيتها علوم شرعية وعقائدية وبعض من المجالات الأدبية وبما أن مؤسس هذه المدرسة من المتصوفة" إتباع طريقة القادرية" فإن الطابع الغالب عليها هو المجال العقائدي أكثر من العلوم الدينية الأخرى[7]، والشيخ محي الدين كان يدرس طلابه الفقه وأصوله، والنحو والتفسير والحديث وكان يتبع في تدريسه الطريقة المعهودة في ذلك العصر، وهي الاعتماد في تدريس كل علم على كتاب أو أكثر من الكتب المؤلفة فيه بعد أن يكون

[1] صلاح مؤيد العقبي، الطرق الصوفية... المرجع السابق، ص 500

[2] سعيدة رقاد، المؤسسات العلمية... المرجع السابق، ص 135.

[3] أبي رأس الناصر، لقطة العجلان في شرف الشيخ عبد القادر بن زيان وانه من بني زيان ملوك تلمسان، درا وتح: حمد روتين عمر، وزارة الشؤون الدينية، تلمسان جزائر، 2011، ص 61.

[4] محمد بكار، الشيخ محي الدين... المرجع سابق، ص 43

[5] أبي راس الناصر،لقطة العجلان... المرجع سابق، ص 61.

[6] سعيدة رقاد، المؤسسات العلمية... المرجع سابق، ص،ص 136،137

[7] أبي راس الناصر،لقطة العجلان ... المرجع السابق، ص 62

الطلاب قد حفظوا بعض متونه في غالب الأحوال فكان يعتمد في تدريس لفقه على مختصر خليل بن إسحاق المالكي، وفي النحو على ألفية احمد بن مالك[1]، وقد وردت بعض الأبيات الشعرية التي تعرض الفنون التي كانت تدرس بالمعهد القيطنة في عهد الشيخ محي الدين وفي ذلك قال الشيخ:" وبعد فإن الله انجز وعده* يفقد محي الكف شيخ الطريقة

ترى كتب ابن حاجب وخليلنا و * ألفية ابن مالك مع غنية [2].

وللزاوية مكتبة تسمى باسم مكتبة الشيخ محي الدين والتي احتوت على كتب كثيرة ومن البديهي أن تمتلك هذه العائلة المكتبة نظرا لتوارث العلم من الأجداد وقد بلغ عدد الكتب حوالي 5000 كتاب ومخطوط ومن بين الكتب التي عُثر عليها فقه و التفسير و الأدب ...الخ[3].

[1] عبد الحكيم مرتاض، الطرق الصوفية، ... المرجع السابق، ص85

[2] ناصر الدين سعيدوني، الجزائر... المرجع السابق،ج4، ص 228.

[3] سعيد رقاد، المؤسسات العلمية ، ... المرجع السابق، ص 145

المبحث الثالث: التربية الروحية في الطريق القادرية

المطلب الأول: التربية بالأذكار عند الطريقة القادرية

الذكر عند القادرية:

للذكر شروط فعلى الذاكر أن يكون على وضوء تام وأن يحصل الذكر بصوت قوي حتى تحصل أنواع الذكر في بواطن الذاكرين وتحيى قلوبهم بهذه الأنوار[1] حتي وضعت الأوراد القادرية لليوم والليلة حيث كل يوم لديه ذكر خاص به، ورد ليلة الأحد:" الذي يحتوي الصلاة على الحبيب المصطفى ثم الدعاء الذي يقوله فيه اللهم أنت المحيط بغيب كطل الشهادة أسألك بوجهك الذي عنت إليه الوجود وبنورك الذي شخصت إليه الأبصار أن تهدي إلى صراطك الخاص هداية تصرف بها وجهي إليك..." ام ورد يوم الأحد يقول فيه :" هو الله لا إله إلا هو الجميل الرحمن، الرحيم، اللطيف... رب اسكني من جمال بديع الأنوار... ظهورك الأقدس فبدت في كل مشهود فأنت الحكيم ...."[2]

الورد الخاص بليلة الاثنين:" وصلى الله عليه سيدنا محمد وسلم إلهي وسع علمك كل معلوم... في سموك فقرب معا رجنا إليك اللهم وصعد إليك الكلم أنت المتعالي.. رب زدني بلطف ربوبيتك بمراقبة تحفظني من طارئ..."

الورد الخاص بيوم الإثنين :" هو الذي لا إله إلا هو الحكيم الرحيم الفعل اللطيف الولي الحميد، رب اذقني من برد حلمك علي في أبتهج في عوالم.. رب أشهدني مطلق فاعليك في

[1] عائشة بن ساعد، البعد البروجي لمقاومة الأمير عبد القادر الجزائري، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، إشراف،ناصر الدين سعيدوني، جامعة الجزائر، 2003، 2004، ص 57

[2] محمد بن بريكة (البوزيدي حسني) موسوعة الطرق الصوفية الطريقة القادرية، زوال اللباس في طرد الوسواس الخناس لشيخ المختار الكنتي الكبير، مج3، دار الحكمة، الجزائر، 2007، صص56..58

كل مفعول.. وامح فعلي وفعل الفاعلين في أحد فعلك وتولى جميل حميد اختيارك في جميع توجهاتي....[1]

ورد ليلة الثلاثاء:" صلى الله على سيدنا و مولانا محمد وعلى آله وصحبه إلهي أنت شديد البطش أليم الأخذ عظيم القهر المنعالي عن الأضداد ... واجعل غضبي لك وفيك مقرونا بغضبك لنفسك واطمس على وجوه أعدائي.. وأعني بك غنى عمن سواك يثبت فؤادي إليك أنت الغني المجيد والولي الحميد والحكيم الرشيد.

ورد يوم الثلاثاء: " إلهي ما أحملك على من عصاك وما أقربك ممن دعاك وما أعطفك علي من سألك... من الذي سألك فحرمته أو التجأ إليك فأسلمته إلهي أتُراك تعذبنا وتوحيدك في قلوبنا... اللهم إنا نعوذ بك من الذل إلا لك ومن الخوف إلا منك ومن الفقر إلا إليك[2].

ورد ليلة الأربعاء:" اللهم اسمك سيد الأسماء وبيدك ملكوت الأرض والسماء إلهي أسألك باسمك الذي جمعت به شهادة كل غائب، واجعلني قبلة كل متوجه وجامع شتات كل متفرق من حيث أنسبة المقتبس موسى عليه السلام ملكي أناجيك بمناجاة عبد كسير بعلم انك تسمعني وانك تجيب كل واقف، أسألك إلهي بالاسم الذي أفضت به الخيرات أن تفيض على ملابس الخيرات"

ورد يوم الأربعاء: إلهي قد عم قدمك حدثني فلا أنا وأشرق سلطان نور وجهك فأضاء هيكل بشري ولا سواك فلا دام مني فيدوامك وما فنا عن.. أسألك بالألف إذا تقدمت وبالهاء إذا تأخرت وبالحاء من إذا انقلبت لاما أن تقضي بك لا إله إلا أنت يا حي يا قيوم يا ذا الجلال والإكرام"[3].

[1] المرجع نفسه، مج3 ،صص 59...61.

[2] المرجع نفسه،مج3 ،صص 62...64.

[3] المرجع نفسه، مج3 ،صص 65...67.

ورد ليلة الخميس: "سيدي أنت مسبب الأسباب ومربيها ومصرف القلوب أسألك بالحكمة التي اقتضت ترتيب الأسباب الأولى صعوداً ونزولاً حتى أشهد في الباطن منها والظاهر والأول في عين الأخر والحظ حكمة.. أسألك يا غالب كل غالب ومدرك كل هارب أسألك رداء الكبرياء وغزارة العظيمة."

ورد يوم الخميس:"اللهم أسألك يا الله يا الله، أسألك بنور عرشك الذي ملأ عرشك وبقدرتك التي قدرت بها على جميع خلقك، ... اللهم إني أسألك اللطيف قبل كل لطيف..أسألك يا رب كما لطفت بي ظلمات الأحشاء ألطف بي في قضائك وقدرك وفرج عني الضيق[1]."

ورد اللية الجمعة: "اللهم أسألك بالسر الذي جمعت به بين المتقابلين أن تجمع متفرق أمري جميعا يشهدني في وحدة وجودك، وألبسني حلة الجمال، وتوجني بتاج حلال حتى تخضع له نفوس البشرية .... وأسألك يا خالق المخلوقات ومحي الأموات وجامع الشتات أن تذهب حرصي وتكمل نقصي وأن تفيض على سوابغ نعمائك وتعلمني من الأسماء ما يصلح للأذن واللقاء."

ورد يوم الجمعة: "هذا الورد يسمى بحزب الإظهار وكشف الأسرار:" اللهم إني أسألك بعظيم قديم مكنون مخزون أسمائك وأنوا أجناسك... أن تسكن قلوب المريدين لقربك، اللهم ذهلت العقول وانحصرت أفهام الأبصار وحارت الأوهام.. واجعلني في هذا العام وفي هذا الشهر وفي هذه الجمعة وفي هذا اليوم مما دعاك فأجبته وسألك فأعطيته وتضرع لك فرحتمه..."[2]

ورد ليلة السبت: "سيدي دام بقاؤك وفي الخلق نفذ حكمك وقضاؤك... أسألك وقتا كما نريد بمعاملة لائقة يكون غايتها قربة من نتائج الأعمال...إلهي أدم علي نعمك حتى انعم بدوام شهادتك...أسألك باسمك الذي أفضت به النور على القوابل ومحوت به الظلمات كل

[1] المرجع نفسه ،مج3 ،صص 68...70.

[2] المرجع نفسه، مج3، صص71..75.

الغواسق أن تملأ وجودي نورا واعصمني في كل كلمة مما لبس لي بحق، واجعلني على بصيرة منك أنا ومن اتبعني."

ورد يوم السبت:" اللهم يا من نعمه لا تحصى وأمره ونروره لا يطفي... واجعل لي من أمري فرجا ومخرجا اللهم يتلألأ نور لهاء حجب عرشك من أعدائي... أحبس عني من ظلمني وأغلب من غلبني... اللهم كن لي جارا من شرهم..."[1].

إن هذه الأوراد القادرية دائما تبدأ بالبسملة وتنتهي ب الحمد والشكر لله تعالى وفيها تهليل وتعظيم لله تعلى وعلى كل مريد أن يكون عالما وحافظا لهذه الأوراد[2] فيه جميع الأذكار القادرية.

المطلب الثاني: التربية السلوك بالصلوات الخمس

حيث يقوم شيخ الطريقة القادرية بحث مريد دوما بالمحافظة على الصلاة مع الجماعة وباستطاعة الإنسان الالتحاق بالجامعة والمحافظة عليها وإقامتها وصحة أدائها والامتثال لتعاليمها ويشدد على من لم يطمئن في أداء صلاته ومن لم يخشع فيها[3]، وعلموا بهذا المبدأ لحديث رسول الله روي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال:" إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:"أرأيتم لو أن نهرا بباب أحدكم يغتسل كل يوم منه خمس مرات هل يبقى من دونه شيء؟ قالوا : لا ، قال: فبذلك مثل الصلوات الخمس، يمحوا الله تعالى بها الخطايا".

وأيضا عن ابن عمر رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:" الصلوات الخمس عماد الدين، لا يقبل الله إيمان إلا بالصلاة"

[1] المرجع نفسه، مج3،صص 76...79.

[2] .أنظر الملحق رقم 4

[3] الغالي بن لباد ، المرجع السابق، ص 115.

وعن انس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رجل: يا رسول الله كم افترض الله عز وجل على عباده من صلوات ؟ قال: خمس صلوات، قال: فهل قبلهن أو بعدهن شيء؟ قال : افترض الله على عباده صلوات خمس ليس قبلهن أو بعدهن شيء ،حلف الرجل بالله لا يزيد عليهم ولا ينقص منهن، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" إن صدق دخل الجنة".

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" أول ما يحاسب به الصلاة وأول ما افترض الله تعالى على هذه الأمة الصلاة"[1]

يقول الشيخ الطريقة القادرية بشرح الطرق المحافظة علي الصلاة وما ورد من العقوبة على من ضيعها، حيث أن التربية الروحية قائمة على الأمور الدينية أكثر ومنه يقوم الشيخ بتقديم نصوص شرعية متمثلة في الأحاديث وآيات قرآنية تبين عواقب ترك الصلاة، ومن قول رسول الله صلى الله عليه وسلم:" إذ صلى العبد في أول وقت صعدت إلى السماء ولها نور حتى تنتهي إلى العرش، تستغفر لصاحبها إلى يوم القيامة وتقول: حفظك الله كما حفظتني، وإذا صلى العبد في غير وقتها صعدت إلى السماء لا نور لها ، فتنتهي إلى السماء ،فتلف كما يتلف الثوب الخلق، فيضرب بها وجهه ثم تقول: ضيعك الله كما ضيعتني"[2].

قال الله تعالى:" فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون" سورة الماعون (4-5).

فالصلاة خطرها عظيم وأمرها جسيم، وبالصلاة أمر الله تعالى رسوله محمدا أول ما أوحي الله بالنبوة ثم بالصلاة قبل كل عمل وقبل كل فريضة في آيات كثيرة ومنها قوله تعالى:" اتل ما أوحي من الكتاب وأقم الصلاة" (العنكبوت 45.) وقال عز وجل:" إن الصلاة تنهي عن الفحشاء والمنكر" (العنكبوت 45) وقال عز وجل:" وأمر أهلك بالصلاة واصطبر

[1] عبد القادر بن أبي صالح الجيلاني، الغنية لطالبي الحق عز وجل، ج1، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، 1997، صص 179...181.

[2] المرجع نفسه ج1 ، ص 185

عليها لا نسألك رزقا نحن نرزقك" (طه 132)[1]،ويعتمد الشيخ القادرية علي هذا النوع من التربية والتعليم داخل الزاوية،لأنه يعتبر من أساس تنشئة المريد داخل الإطار الروحي من أجل تكوين شخصية زاهدة وذات روحانية تسمو بمقدار ما تحققه من طاعة ومجاهدة وهو أهم شيء يقوم به الشيخ.

المطلب الثالث: آداب المريد

أولا: تعريف المريد

مشتق من الإرادة وهي لوعة في القلب يطلقونها ويريدون بها إرادة متمني وهي منه[2] وهو الفرد المنتسب والمجتهد في تعلم الطريقة التي تنير دربه " طريقة القادرية" من خلال مجالسة ومصاحبة شيخ الطريقة، فمفهوم المريد لا يتضح إلا من خلال استعرض العلاقة التي تجمع المريد مع شيخه، [3] حيث أول شيء يقوم به المريد هو التوجه إلى شيخ ناصح، عارف بالطريقة فيسلم نفسه لخدمته، ويعتقد ترك مخالفته وأن يكون صادقا في مصاحبته لا يجوز للمريد مفارقة شيخه قبل التشبع بقوة الإيمان فلا بد على المريد بمجالسة شيخه والأخذ من علمه وكلامه المنور بنور شهود الحق وهي الشواهد من كتاب الله والحديث النبوي الشريف، وعلى المريد الابتعاد عن وسوسة الشيطان الذي يقول له:" إنك لا تصلح للحضرة لكثرة العيوب التي فيك" وهنا يحدث للمريد انكسارا ويأس ويتركها بالتدريج وتحدث مثل هذه

[1] المرجع نفسه،ج1 ص 187.

[2] محمد بن بريكة ، (البوزيدي، الحسني) موسوعة الطرق الصوفية، الطريقة القادرية، تحقيق نقد البدايات وتوصيف النهايات ماء العينين الشنقيطي، مج4، دار الحكمة، الجزائر، ص10.

[3] الحاج يخلف ، الأسس الأنثروبلوجيية التأسيسية، وعلاقات زاوية سيدي أحمد بعين تيموشنت ، دراسة ميدانية أنثرولوجية مذكر لنيل ماجستير في الأنثروبلوجية،إشراف،أحمد يعلاوي، جامعة وهران، د.ت.ط، ص37.

الأمور للمريد الذي يكون بعيد عن شيخه حيث يصبح فراغ لهذا يسهل على الشيطان وسوسة ولهذا لابد للمريد من أن يبقى على مقربة من شيخه[1].

وكذلك إن العلاقة بين المريد وشيخه هي بمثابة علاقة الآباء مع الأبناء فإن الشيخ في قومه كقوله صلى الله عليه وسلم:" إنا لكم كالوالد لوالده" ويجب الصحبة معهم بالتسليم للتصرفات ولا يهتم ظاهرا وباطنا بصدق النية وصفاء القلب مستسلما لأحكام التسليك والتربية، حيث يعتبر الشيخ هو الأب الروحاني والمريدون هم الأولاد الروحانيون له[2]

ومن آداب التي يجب أن يتبعها المريد أيضا هو عدم الإكثار من الضحك مع الشيخ:" من اجل الحفاظ على الاحترام بينهما وحتى إن ضحك معه فيجب عليه أن يقصر وربما يكون ذلك الضحك من اختيار الشيخ لينظر مقامه في الأدب ولهذا يجب أن يلزم نفسه الحياء، وكذلك يجب أن يتكلم بصوت منخفض وينبغي للمريد أن يروض نفسه ويعودها الكلام اللين ويتحلى بصفة الذاكرين الخائفين والخروج من صفة الجبابرة الغافلين لقوله تعلى:"واغضض من صوتك" الحجرات(الآية 2).[3]

عدم الجلوس عن يمين الشيخ أو عن يساره: لا يجب على المريد أن لا يجلس عن يمين الشيخ أو يساره حتى وإن كان الشيخ دعاه إلى ذلك، بل يجلس أمامه، كما هو معلوم وجه إلى وجه وعيناه إلى عينه، وقلبه إلى قلبه ولا بد على المريد عندما يدخل إلى المسجد أن لا يشتغل بغير ذكر الله، لأن المسجد موضع العبادة... عدم الإكثار النظر للشيخ، أي لا يكثر النظر إليه خاصة إذا جلس أمامه ، فإنه كثرة النظر تورث قلة الحياء إلا عند التذكير

[1] محمد بن بريكة، موسوعة الطرق... المرجع السابق،مج4 ص ،ص12،21.

[2] المرجع نفسه مج4، ص 179.

[3] محمد البوزيدي، المستغانمي، الآداب المرضية لسالك طريق الصوفية، دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان 2006، ص11.

وينبغي لهذا المريد أن يلتزم نفسه مراقبة الله ومراقبة الرسول صلى الله عليه وسلم هي التي تنبت السخاء والمحبة، والتعظيم والنية والصدق والإخلاص وغير ذلك[1]

إضافة إلى آداب أخرى متمثلة في :

عدم تقرير المسائل العلمية في حضرة الشيخ: أي أن لا يبادر بالكلام عند تقرير شيخه بعض العبارات فلا يحكم فيها برأيه وفهمه

عدم الجلوس كجلسة العوامل أما الشيخ: بل يجلس جلسة المملوك مع الملوك كجلسة المصلي في الصلاة وأن لا يلتفت يمينا أو يسارا مادام أمام شيخه في مجلس الذكر إضافة إلى آداب أخرى التي هي كالتالي:

عدم المشي مع الشيخ مساويا له

عدم التقدم للصلاة

عدم الجلوس بمواضع الشيخ

عدم الأكل مع الشيخ

عدم النوم معه

عدم مناداة الشيخ إذ دخل داره

عدم الجلوس أمام باب منزله

عدم دخول إلى منزل الشيخ بغير إذنه

وهناك الكثير من الآداب التي ينبغي على المريد العمل بها[2].

ورغم كل هذا إلا أن للشيخ أيضا آداب مع تلاميذه وهي:

التواضع لهم، ويجب عليه مصاحبتهم ويجلس معهم بعض الأوقات ويحثهم على الطاعات

[1] المرجع نفسه، ص، 12،13.

[2] المرجع نفسه مج4 ،صص 13...23.

على الشيخ أن يبين لهم الطرقات أسني أي أرفع الطرق عنده ليسيروا معها، وان يتجاوزا عن خطئهم في بعض الأحيان ولا بد عليه من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فعلى الشيخ أن يظهر محاسن مريديه ومن حق المريد على الشيخ أن يلقاه بالترحيب وطلاقة الوجه وهذا من اجل تبيين المودة بينهما[1].

ومن آداب المريد مع أخوانه: يجب أن يعاملهم كإخوة، وأن يحب لنفسه ما يحب لأخيه وما يسره يسر لأخيه وما يسوءه يسوء لأخيه[2].

وفي ختام هذا الفصل نستنتج أن المؤسسات الدينية من كتاتيب وزوايا ومساجد والطريقة القادرية وزاويتها القيطنة، أدت دورا رياديا في الإمساك بزمام أمر التعليم في الجزائر في العهد العثماني، ولولاها لما حصل ذلك الجيل من الجزائريين من المعارف ما أتاح لبلاد استمرارها الثقافي وامتدادها الحضاري وهذه الممارسة التعليمية في الجزائر قد شهدت انتشارا واسعا خاصة في أواخر العهد العثماني بما لازمها من بعد ديني وإذا قد تعثرت مرارا في تسجيل إسهامات حقيقية .في دفع عجلة المجتمع في اتجاه التغيير والتطوير، فكانت هذه المبادرات بجهد فردي دون دعم السلطة العثمانية لهذه المؤسسات التعليمية.

[1] محمد بن بريكة، موسوعة الطرق الصوفية، مج3، المرجع السابق، صص175..205

[2] مرجع نفسه، ص 47.

خاتمة

خاتمة:

لقد حاولنا من خلال هذه المذكرة التعرف على التصوف و علي أهم الطريقة الصوفية في الجزائر وأقدمها وهي الطريقة القادرية ،التي حاولنا تتبع المراحل التي مرت بها، بداية من مؤسسها عبد القادر الجيلاني وكيفية انتقالها من المشرق إلى المغرب الإسلامي عن طريق أبي مدين شعيب وصولا للدور الذي أدته في الجانب التعليم، دون أن ننسي علاقتها بالحكام العثمانيين ،كما حاولنا التركيز على أهمم المؤسسات العلمية لهذه الطريقة.

ومن خلال البحث توصلنا إلى مجموعة من الاستنتاجات ،أبرزها:

- أن الطريقة القادرية كغيرها من الطرق الصوفية التي عرفتها الجزائر وأقدمها نتيجة التواصل مع أعلام التصوف بالمشرق عن طريق الرحلة إلى الحج فقد تتلمذ على يد هؤلاء الأعلام كثير من المغاربيين، فمؤسس الطريقة عبد القادر الجيلاني قام بتلقين تعاليم الطريقة لأبي مدين شعيب خلال رحلته إلى الحج ،تأثر بهذه الطريقة ونقل تعاليمها إلى الشرق الجزائري بجاية ثم انتقلت إلى تلمسان
- إن من أهم مريدي هذه الطريقة هو عبد الرحمن الثعالبي وعبد الكريم المغيلي اللذان ساهما بشكل كبير في نشر تعاليم هذه الطريقة في الجزائر من خلال ما قام به عبد الرحمن الثعالبي بإنشاء زاوية خاصة به يقدم فيها الدروس ومبادئ الطريقة القادرية ،إضافة إلى ما قام به عبد الكريم المغيلي بنشر تعاليم الطريقة في الجنوب الجزائري خاصة بإقليم توات ومنها انتقلت إلى السودان الغربي.

وقد تناولنا في هذا البحث أشهر مشايخ الطريقة ،منهم مصطفى الغريسي الذي قام بتأسيس زاوية في الغرب الجزائري معروفة بالزاوية القيطنة وهو جد الأمير عبد القادر إضافة إلى محي الدين والد الأمير عبد القادر الذي ساهم بشكل كبير في

نشر وتلقين تعاليم الطريقة القادرية داخل الزاوية وبفضلهما أصبحت الطريقة على درجة كبيرة من الأهمية العلمية في المنطقة.

واخترنا أيضا الشيخ المختار الكنتي الذي يعد من أبرز المشايخ الطريقة القادرية لكن في الجنوب الجزائري لكي نوضح مدى امتداد هذه الطريقة من الشرق نحو الغرب وصولا للجنوب الجزائري.

وبما أن الطريقة القادرية هي أقدم طريقة في الجزائر، فقد كانت لها علاقة مع السلطة الحاكمة ،خلال الفترة البحث حيث ،كانت العلاقة الحسنة في البداية ثم تحولت إلى علاقة متوترة في أواخر العهد العثماني بسبب التجاوزات التي قام بها الحكام العثمانيين

وتناولنا أيضا علاقة هذه الطريقة مع الطريقة الشاذلية ،التي تعد فرع من فروع القادرية إلا أنه حدث صراع بين الطريقتين بسبب التنافس والتحاسد بين الطرفين.

أن التعليم في الجزائر عامة خلال العهد العثماني كان يرتكز على الكتاتيب والمساجد والمدارس العلمية والمكتبات. كما أن المنهج التعليمي الذي اعتمدته عليه طريقة القادرية داخل الزاوية تمثل في أطوار التعليم مختلفة للتعليم ،وأن كل طور استقل بالمواد التدريس، وقد اعتمدنا طريقة التدريس التي كانت سائدة بزاوية القيطنة كنموذج ،لقد كانت هذه الزاوية تستقبل الكثير من الطلاب العلم ،كما اعتمدت الطريقة القادرية في منهجها التعليمي على التربية الروحية المتعلقة بالأذكار الطريقة وبكيفية تعلمها وكذلك التربية بالسلوك بالصلاة خلال تعليمهم كيفية المحافظة عليها ،وذكرنا العلاقة المريد بالشيخ المبنية عي الاحترام والتبجيل.

خاتمة:

أن لهذا التعليم رغم الإيجابيات التي تميز بها إلا أنه لا يخلو من سلبيات مساوئ كثيرة ،ربما أهمها هو الاهتمام بالعلوم النقلية فقط دون العلوم التجريبية، مما جعل هذا التعليم جامدا غير قابل للتطور.